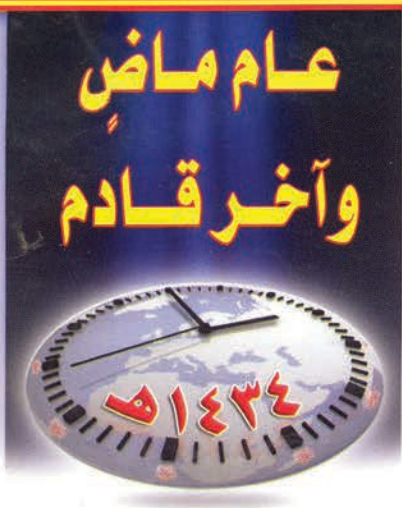
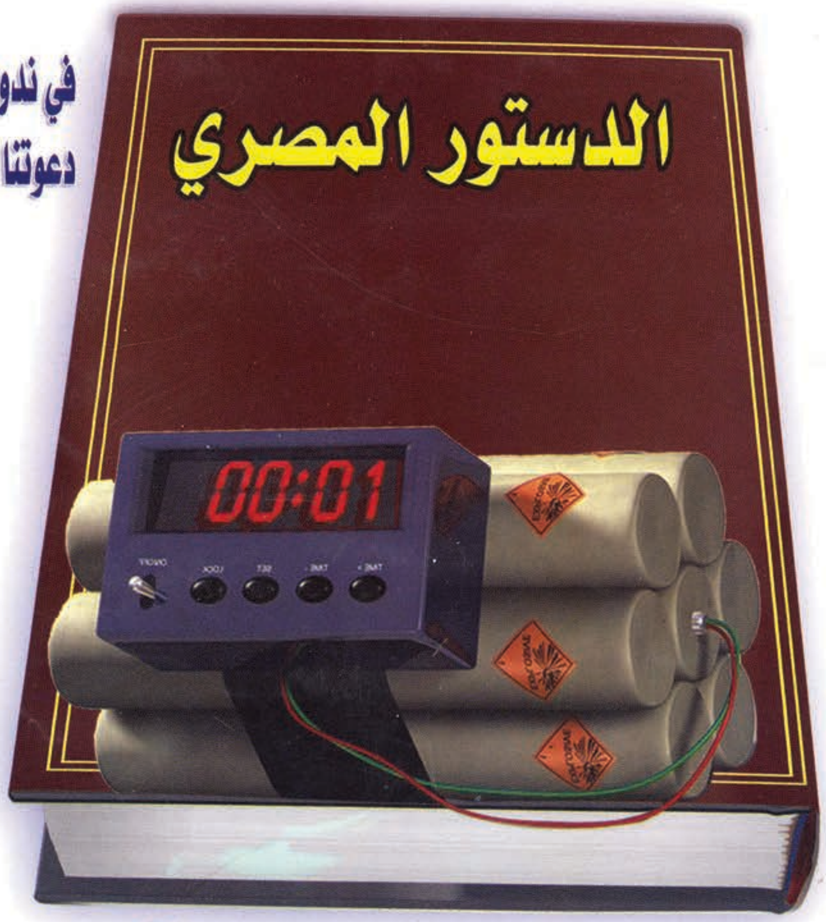
الرئيس مرسي يلتقي رئيس أنصار السنة ضمن وفد العلماء والدعاة

التوحيد



إسلامية ثقافية شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية العدد ٤٩٣ - السنة الثانية والأربعون، المحرم ١٤٣٤ هـ
الثمن جنيهان

في ندوة التوحيد الثانية بالشين :
دعوتنا : توحيد .. اتباع .. وتزكية



تأسيس تيار الوسطية الإسلامي في سوريا

بيان مجلس شورى العلماء بشأن مسودة الدستور

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية

رئيس مجلس الإدارة
د.عبد الله شاكر الجنيدي

المشرف العام
د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية
جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل

التحرير
٨ شارع قولة عابدين - القاهرة
ت:٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢
البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير:
GSHATEM@HOTMAIL.COM
قسم التوزيع والاشتراكات
ت:٢٣٩٣٦٥١٧
ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM
المركز العام:
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦
WWW.ANSARALSONNA.COM

بشرى سارة

تعلن إدارة المجلة عن رغبتها في تفعيل التواصل بينها وبين القراء في كل ما يتعلق بالأمور الشرعية لعرضها على لجنة الفتوى ونشرها بالمجلة على البريد الإلكتروني التالي: q.tawheed@yahoo.com

السلام عليكم

أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ !

وبدأ عام هجري جديد وانتهى عام هجري آخر، وهو شاهد على البلاد وأعمال العباد، وأُودعت فيه الأعمال الصالحة، وأعمال الفساد، وأصبح من الناس تائب إلى ربه، ومنهم من ظل متماديًا في غيه.

وقد جاءت الأخبار من داخل السجن تقول بتوبة وزير الداخلية (السابق) المحبوس، ولا مانع؛ فالله يتوب على من تاب، ويفرح بتوبته، ولكن الشريعة قد أمرت الذي يتوب بأن يتحلل ممن ظلمهم كما ورد: «من كانت لأخيه عنده مظلمة من عِرض أو مال فليتحلله اليوم قبل أن يؤخذ منه يوم لا دينار ولا درهم». [رواه البخاري].

فينبغي لذلك التائب أن يبرئ ساحة المظلومين، ويكشف خطط المجرمين، ويرد لكل ذي حق حقه، ويفعل في ماله كما قال أهل التوبة الصادقون: «إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله» صلى الله عليه وسلم.

عندها يستحق اللواء حبيب العادلي لقب: «حبيبُ الله العادلي السلفي»!!

التحرير

السنة الثانية والأربعون
العدد ٤٩٣ – محرم ١٤٣٤

في هذا العدد

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني

حسين عطا القراط

سكرتير التحرير

مصطفى خليل أبو المعاطي



ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرشاً، السعودية ٦ ريالات، الامارات ٦ درهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الاردن ٥٠٠ فلس، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني، أمريكا ٢ دولار، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٣٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد. على مكتب بريد عابدين مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون

٢- في الخارج ٢٥ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الاسلامى فرع القاهرة. باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة «حساب رقم /١٩١٥٩٠».

التوزيع الداخلي: مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية
مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر



إبراءً للذمة وإعذاراً إلى الله تعالى

بقلم/ الرئيس العام

د/ عبدالله شاكر الجنيدي

www.sonna_banha.com

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، لا معقب لحكمه، ولا مبدل لأمره، والصلاة والسلام على من بعثه ربه رحمة العالمين، وعلى آله وأصحابه الأطهار الطيبين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعدُ:

فإني أكتب هذه الكلمات، والأمة تقوم بوضع دستور تسير عليه البلاد، وإنه لا بد لكل دولة من نظام تخضع له، وقوانين تضبط الأمور فيها، ودولة الإسلام يجب أن تحكمها شريعة الإسلام فحسب، القائمة على كتاب الله وسنة رسوله ومصطفاه صلى الله عليه وسلم، وقد اشتمل هذان الأصلان على أصول الديانة، وقد بيَّن الله فيهما كل ما يحتاج إليه الناس بيانًا شافيًا، ومن ذلك المسائل العقدية المتعلقة بذات الله تعالى، وما يجب نحوه من إفراده بجميع أنواع التوحيد، وإثبات صفات الكمال الثابتة له كما يليق بجلاله وكماله، وسائر أركان الإيمان والإسلام، كما اشتملت الشريعة على بيان الأحكام العملية التي درج العلماء - رحمهم الله - واصطلحوا على تسميتها: بفقه العبادات والمعاملات والبيوع، والجنايات، والحدود، والمواريث، وغير ذلك. كما تشتمل أيضًا على سائر ما جاء في جانب الأخلاق والسلوك.

•• أفغير الله أبتغي حَكَمًا؟

وكل هذه التشريعات من الله وحده، وليس لأحد من الخلق أن يسن تشريعًا يخالف ما جاء من عند الله فهو الرب سبحانه المشرِّع، بل يجب تعظيم كل ما جاء من عند الله سبحانه والعمل به، قال الله تعالى: «ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ» [الحج: ٣٠]، والآية وإن وردت في سياق الحج، إلا أن الظاهر عمومها لكل حرمة، وقد ذكر الشوكاني ذلك كما في فتح القدير ٤٥١/٣، وقال القاسمي في معنى الآية: «فحافظوا على حدوده، وإياكم أن تحرموا مما أحل لكم شيئًا، كتحريم عبدة الأوثان البحيرة والسائبة وغير ذلك، وأن تُحلوا مما حرم الله، كإحلالهم أكل الموقوذة والميتة وغير ذلك». [محاسن التأويل ٤٣٣٨/١٢].

وقد أفادت الآية أن ترك الشرك واجتناب الأوثان من أعظم المحافظة على حدود الله تعالى، وهذا الذي يدفعنا دائمًا - بتوفيق الله - إلى العناية بالتوحيد، وبيانه، والتحذير من الشرك وضلالاته.

•• ألا له الخلق والأمر؟!

ومن المعلوم بداهة في دين الإسلام أن الله خلق الخلق ليعبدوه وحده دون سواه، وهذه العبادة مقتضي الانقياد لله تعالى في كل ما نزل من عنده اعتقادًا وقولا

وعملًا، وأمرًا ونهيًا، وأن تكون حياة المرء قائمة على شريعة الله وحده، يحل ما أحل الله، ويحرم ما حرم، ويخضع في كل ما يأتي ويذر لشرع الله، ومن خالف ذلك، فقد خرج عن الطاعة والعبادة؛ وذلك لأن سن التشريعات حق لله تبارك وتعالى وحده، وقد عاب الله صنيع المشركين الذين وضعوا شرائع تخالف ما جاء من عند رب العالمين، وذمهم على ذلك في كتابه، فقال: « أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ » [الشورى: ٢١].

ويلاحظ أن الآية أطلقت على الذين يشرعون من الدين ما لم يأذن به الله شركاء، وعلى العبد ألا يتخذ شريكًا لربه ومولاه؛ لأن هذا يتنافى مع إفراد الله تعالى بالربوبية والألوهية وهو سبحانه مالك الملك، والأمر كله مرده إليه، وعلى العبد أن يرضخ لربه ومولاه، وأن يلزم شرعه وأمره.

•• الحكم هو لله وحده:

ومما يدل من القرآن الكريم على أن الحكم لله وحده، وأنه يندرج تحت عبادة الله تبارك وتعالى ما جاء في قوله سبحانه: «إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ» [يوسف: ٤٠]، وقد بينت الآية أن الحكم هو لله وحده، وهو مقصور عليه، ولا ينازع فيه؛ لأن هذا من إفراده بالعبادة، ومنطوق الآية صريح في ذلك، وقد فهم ذلك علماء الإسلام وأئمته، فنصوا - رحمهم الله - على ضرورة الالتزام بأحكام الله وتشريعاته، وبينوا أنه لا يجوز الخروج عليها، ومن غيَّر أو بدَّل عالمًا بذلك، فليس من الإسلام في شيء.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وهؤلاء الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا - حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله يكونون على وجهين:

أحدهما: أن يعلموا أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل فيعتقدون تحليل ما حرم الله، وتحريم ما أحل الله اتباعًا لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل، فهذا كفر، وقد جعله الله ورسوله شركًا، وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم، فكان من اتبع غيره في خلاف الدين مع علمه أنه خلاف الدين، واعتقد ما قاله ذلك دون ما قاله الله ورسوله صلى الله عليه وسلم مشركًا مثل هؤلاء.

والثاني: أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتًا، لكنهم أطاعوهم

> **على العبد ألا يتخذ شريكاً لربه ومولاه لأن هذا يتنافى مع إفــراد الله تعالى بالربوبية والألوهية.**

في معصية الله، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصي التي يعتقد أنها معاص، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب، كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إنما الطاعة في المعروف»، وقال: «على المسلم السمع والطاعة فيما أحب أو كره، ما لم يُؤمر بمعصية»، وقال: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق». [مجموع الفتاوى ٧/٧٠، ٧١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في موطن آخر: «ليس لأحد أن يحكم بين أحد من خلق الله، لا بين المسلمين، ولا الكفار، ولا غير ذلك إلا بحكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ومن ابتغى غير لك تناوله قوله تعالى: « أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ» [المائدة: ٥٠]، وقوله تعالى: « فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا » [النساء: ٦٥]، فيجب على المسلمين أن يحكموا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم في كل ما شجر بينهم». [المرجع السابق ٣٥/٤٠٧، ٤٠٨].

•• دحض شبهات ورد مفتريات:

لقد كانت الأمة الإسلامية على مدار تاريخها تطبق شريعة ربها، وتهتدي بالوحي المنزل، إلى أن غشيها الاستعمار وأعداء الدين، فغيَّروا وبدَّلوا، وفي القرن الماضي استيقظ العالم الإسلامي على

دعوة خبيثة خرجت من الشيخ علي عبد الرازق متابعًا فيها أعداء الملة والدين، يقول فيها: «إن محمدًا صلى الله عليه وسلم ما كان إلا رسولًا لدعوة دينية خالصة للدين، لا تشوبها نزعة مُلك، ولا دعوة لدولة، وأنه لم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم ملك ولا حكومة، وأنه صلى الله عليه وسلم لم يقم بتأسيس مملكة بالمعنى الذي يُفهم سياسة من هذه الكلمة ومرادفاتها، ما كان إلا رسولًا كإخوانه الخالية من الرسل، وما كان ملكًا، ولا مؤسس دولة، ولا داعيًا إلى ملك». [انظر الإسلام وأصول الحكم ص١٣٦]، وهذا كلام من لا يعقل شيئًا عن هذا الدين ومصادره.

وقد تبعه على ذلك نفر تربوا على موائد الفكر الغربي المناوئ لشريعة الإسلام ودين رب العالمين، وقد قام العلماء بواجبهم في الرد على هذا المؤلف وكتابه، ولم يسكتوا على الباطل الذي ذهب إليه.

وأنا أذكر هذا لأدفع العلماء والغيورين على دين الأمة إلى التصدي اليوم لمن يريد إقصاء الشريعة، أو يحاربها، وإن واجب البيان والدفاع عن الدين أمر ضروري لنا فيه سلف، وقد ردت هيئة كبار علماء الأزهر الشريف على هذه الفرية، بل تبرءوا من كتاب المؤلف علي عبدالرازق» الإسلام وأصول الحكم» ، وأخرجوه من زمرة العلماء، وهذا نص بيان هيئة كبار العلماء حول ذلك الكتاب: «الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على عَلَم الهدى ومرشد الورى سيدنا محمد الداعي إلى ما فيه سعادة الدنيا والفوز في الأخرى وسلم تسليمًا كثيرًا، وبعدُ: فقد صدر بمصر كتاب عنوانه: «الإسلام وأصول الحكم» للشيخ علي عبد الرازق خرج فيه على الأصول التي سُمِّي بها عالمًا شرعيًا، وكان بها أهلًا للفتيا والقضاء، ولما تحقق ذلك لهيئة كبار علماء الأزهر الشريف اجتمعت بصفة تأديبية في دار الإدارة العامة للمعاهد الدينية يوم الأربعاء٢٢ من المحرم سنة ١٣٤٤هـ برئاسة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر/ محمد أبي الفضل شيخ الجامع الأزهر، وحضور أربعة وعشرين عالمًا من هيئة كبار العلماء، ونظرت في التهم الموجهة إلى الشيخ علي عبد الرازق أحد علماء الجامع الأزهر والقاضي الشرعي بمحكمة المنصورة الابتدائية الشرعية التي تضمنها كتابه «أصول الحكم» من زمرة العلماء.

وقد تضمنت أن الكتاب المذكور يحوي أمورًا مخالفة للدين ولنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية وإجماع الأمة، منها: جعل الشريعة الإسلامية شريعة روحية محضة لا علاقة لها بالحكم والتنفيذ في أمور الدنيا، وأن الدين لا يمنع من أن جهاد النبي صلى الله عليه وسلم كان في سبيل الملك لا في سبيل الدين ولا لإبلاغ الدعوة إلى العالمين، وأن نظام الحكم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم كان موضع غموض أو إبهام أو اضطراب أو نقص أو موجبًا للحيرة، وأن مهمة النبي صلى الله عليه وسلم كانت بلاغًا للشريعة مجردًا عن الحكم والتنفيذ، وإنكار إجماع الصحابة على وجوب نصب الإمام، وعلى أنه لا بد للأمة ممن يقوم بأمرها في الدين والدنيا، وإنكار أن القضاء وظيفة شرعية، وأن حكومة أبي بكر وعمر والخلفاء الراشدين من بعده رضي الله عنهم كانت لا دينية...

> **لقد كانت الأمة الإسلامية على مدار تاريخها تطبق شريعة ربها وتهتدي بالوحي المنزل إلى أن غشيها الاستعمار وأعداء الدين !!**

وقرر حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ / محمد أبي الفضل شيخ الجامع الأزهر بناءً على ذلك اجتماع هيئة كبار العلماء بصفة تأديبية في يوم الأربعاء ١٥ من المحرم سنة ١٣٤٤هـ، الموافق ٥ أغسطس سنة ١٩٢٥م الساعة العاشرة صباحًا في دار الإدارة العامة للمعاهد الدينية، وأعلن ذلك للشيخ / علي عبد الرزاق في يوم الأربعاء ٨ من المحرم سنة ١٣٤٤هـ الموافق ٢٩ يوليو سنة ١٩٢٥م، وكُلِّف بالحضور أمام الهيئة المذكورة في التاريخ والمكان المذكورين، وبعد الاطلاع على كتاب «الإسلام

وأصول الحكم».

صدر هذا الحكم بدار الإدارة العامة للمعاهد الدينية في يوم الأربعاء ٢٢ من المحرم سنة ١٣٤٤هـ الموافق ١٢ أغسطس سنة ١٩٢٥م.

أقول: رحم الله هؤلاء العلماء الربانين، وأطالب علماء اليوم على سلوك هذا الطريق والانتصار لدين رب العالمين في جميع الأمور، وعلى رأسها: المسائل العقدية التي لا يقبل عمل عامل إلا إذا كانت صحيحة كما جاءت من عند الله تعالى، كما يجب الانتصار للسنة النبوية وسائر أمور الشريعة، وهذا واجب الأمة الآن، وقد جاء في حيثيات حكم هيئة كبار العلماء بالأزهر ما يلي: الدين الإسلامي بإجماع المسلمين ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من عقائد وعبادات ومعاملات لإصلاح أمور الدنيا والآخرة، وإن كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كلاهما مشتمل على أحكام كثيرة في أمور كثيرة في أمور الدنيا، وأحكام كثيرة في أمور الآخرة.

وهل في استطاعة الشيخ / علي أن يشطر الدين الإسلامي شطرين، ويلغي منه شطر الأحكام المتعلقة بأمور الدنيا، ويضرب بآيات الكتاب العزيز وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟!

وهل يجترئ الشيخ / علي أن يسلخ الأحكام المتعلقة بأمور الدنيا من الدين، ويترك الناس لأهوائهم ويقول: إن ذلك من الأغراض الدنيوية التي أنكر النبي صلى الله عليه وسلم أن يكون له فيها تدبير؟!

وماذا يعمل الشيخ/ علي ومن على شاكلته من المخالفين للشرع المطهر في قول الله تعالى الموجه إلى إمام هذه الأمة وصاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: «إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا» [النساء: ١٠٥]؟! وقد نزل الكتاب بالحق ومن عند الحق، واشتمل على أصول الدين وما يصلح للدنيا والدين، ولا يوجد خير من الوحي المنزل للكتاب والسنة.

وختامًا أقول: يا رب رضينا بك ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًا، ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين.

وللحديث صلة - إن أحياني رب العالمين - والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، والحمد لله رب العالمين.

أطالب العلماء والغيورين على دين الله بالتصدي اليوم لمن يريد إقصاء الشريعة أو يحاربها !!

وأصول الحكم» السابق الذكر، والعلم بما تضمنه من الأمور المخالفة للدين ولنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية وإجماع الأمة، وسماع ما جاء في مذكرة الشيخ / علي عبد الرازق عن التهم الموجهة إليه.

وبعد الاطلاع على المادة الأولى بعد المائة من قانون الجامع الأزهر رقم ١٠ لسنة ١٩١١م، وعلى المادة الرابعة من القانون، وبعد المداولة القانونية وبعد مناقشة هيئة كبار العلماء لما جاء في الكتاب المذكور رأت هيئة كبار العلماء ما يلي: من حيث إنه تبين مما تقدم أن التهم الموجهة إلى الشيخ / عبد الرازق ثابتة عامة، وهي مما لا يناسب وصف العالمية، وفقًا للمادة (١٠١) من القانون رقم ١٠ لسنة ١٩١١م ونصها: «إذا وقع من أحد العلماء -أيًا كانت وظيفته أو مهنته- ما لا يناسب وصف العالمية، يحكم عليه من شيخ الأزهر بإجماع تسعة عشر عالمًا معه من هيئة كبار العلماء ولا يقبل الطعن في هذا الحكم، ويترتب على الحكم المذكور: محو اسم المحكوم عليه من سجلات الجامع الأزهر والمعاهد الأخرى، وطرده من وظيفته وقطع مرتباته في أي جهة كانت، وعدم أهليته للقيام بأية وظيفة عمومية دينية أو غير دينية، فبناء على هذه الأسباب: حكمنا نحن شيخ الأزهر بإجماع أربعة وعشرين عالمًا معنا من هيئة كبار العلماء بإخراج الشيخ / علي عبد الرازق أحد علماء الجامع الأزهر والقاضي الشرعي بمحكمة المنصورة الابتدائية ومؤلف كتاب الإسلام

ندوة التوحيد

في ندوة التوحيد الثانية بالشين

دعوتنا: توحيد

أدار الندوة وكتبها/ رئيس التحرير: جمال سعد حاتم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعدُ:

فقد أقيمت ندوة التوحيد الثانية بمجمع نور التوحيد بقرية الشين بمحافظة الغربية. وشملت محاور ثلاثة: دعوتنا توحيد واتباع وتزكية، ومع علم من دعاة التوحيد هو فضيلة الشيخ الدكتور عبد العظيم بدوي، الذي حرص على إقامة هذه الندوة التي أتت بثمار عظيمة سيرى القارئ آثارها وثمارها.

دعوتنا تقوم على التوحيد أولاً

يقول الدكتور عبد العظيم بن بدوي حفظه الله:

إنَّ دعوتنا توحيد واتباع وتزكية، هذه هي دعوتنا التي شرفنا الله تبارك وتعالى بالعمل فيها والدعوة إليها.

التوحيد وفاءً بعهد الله، والتوحيد اتباعاً لرسل الله، والتوحيد سعياً للتمكين في الأرض، والتوحيد طمعاً في تحقيق الأمن والأمان، والتوحيد رجاء تكفير السيئات، والتوحيد طمعاً في دخول الجنات، لماذا دعوتنا تقوم على التوحيد أولاً؟

التوحيد أولاً وفاءً بعهد الله قال الله تعالى: «وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ» [الأعراف: ١٧٢].

فالله تبارك وتعالى أخذ العهد والميثاق على بني آدم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، ونزل آدم عليه السلام إلى الأرض، وكان نبياً معلماً فعلّم أبناءه التوحيد، ودعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فكانوا موحدين عشرة قرون يعبدون الله مخلصين له الدين وبعد ألف سنة اجتالت الشياطين أكثر الناس، فأخرجتهم من نور التوحيد إلى ظلمات الشرك، فحقت عليهم كلمة العذاب، ولما كان الله سبحانه وتعالى يحب العذر، ولا يعجل العقوبة لمستحقيها حتى يقيم عليهم الحجة كما قال سبحانه: «وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا» [الإسراء: ١٥].

وكما قال عز وجل: «رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ» [النساء: ١٦٥]، فقد بعث الله تبارك وتعالى الرسل إليه داعين، وبعهده مذكرين، ولأهل التوحيد مبشرين، ولأهل الشرك منذرين قال الله تعالى: «كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ» [البقرة: ٢١٣]، كان الناس أمة واحدة على التوحيد، على الهدى، على إفراد الله تبارك وتعالى بالعبادة، على القيام بحق الله عز وجل وفاء بعهد الله، كان الناس أمة واحدة عشرة قرون من بين آدم إلى نوح عليه السلام، فاختلفوا؛ فمنهم من آمن ومنهم من كفر، فبعث الله النبيين مبشرين لمن ثبت على التوحيد ومنذرين لمن خرج من التوحيد إلى الشرك قال الله تبارك وتعالى: «إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» [نوح: ١]، وكان نوح عليه السلام أول رسول بعثه الله تعالى إلى أهل الأرض، فلبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وترك ما يعبدون من دونه من الأصنام والأوثان، ولم يأل جهداً في هذه الدعوة وفي إنقاذ الناس من الشرك وإدخالهم في التوحيد، دعاهم ليلاً ونهاراً، سراً وجهراً، غشاهم في مجالسهم وأنديتهم وأسواقهم وطرقاتهم وبيوتهم ومع كل هذا «وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ» [هود: ٤٠].

أرسل الله الرسل لنشر التوحيد

ويستطرد الدكتور عبد العظيم قائلاً:

...ـد .. واتبــاعٌ .. وتـزكـيـة

أما الملأ من قومه فقد أصروا على الشرك إصراراً، واستكبروا عن التوحيد استكبارا، وعقدوا مؤتمرات وخرجوا منها بتوصيات «وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا» [نوح: ٢٣]، «فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ» [القمر: ١٠- ١٤]، واستقرت السفينة بنوح عليه السلام على الجودي، فلم يكن على وجه الأرض بعد إغراق المشركين إلا الموحدون، وطال الأمد بالناس وعمل الشيطان عمله فيهم فاجتالهم مرة ثانية، وأخرج أكثرهم من نور التوحيد إلى ظلمات الشرك، فبعث الله تعالى هوداً عليه السلام: «فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ» [الأعراف: ٥٩]، وكانت النتيجة هي هي، نجى الله هوداً ومن آمن معه وأهلك قوم عاد، ثم جاء قوم ثمود وأرسل الله إليهم صالحاً «يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره»، «ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا» [المؤمنون: ٤٤] يحق الله الحق ويبطل الباطل، وينجي أهل التوحيد، ويهلك أهل الشرك.

وما زالت الرسل تترى على هذا النظام وعلى هذا الهدى حتى انتهى الأمر إلى محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين عليهم جميعاً صلوات رب العالمين، فجاء عليه الصلاة والسلام وقد انتشرت الأصنام والأوثان في قومه حتى كانت بعدد أيام السنة، وكان لكل أهل بيت صنم في بيتهم يعبدونه من دون الله، فصار على هدى إخوانه المرسلين التوحيد أولاً؛ لأن الله قصّ عليه قصصهم، ونبأه نبأهم، وأمره أن يهتدي بهديهم «أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ» [الأنعام: ٩٠]، فقام عليه الصلاة والسلام يقول للناس: قولوا لا إله إلا الله تفلحوا، ولكن القوم رموه بالسحر والكذب، واتهموه بالجنون «وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ» [ص: ٤- ٧].

وظل عليه الصلاة والسلام يجاهد فيهم ويدعوهم إلى التوحيد، ولما كانوا كما وصف الله تعالى «وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون»، قال ابن عباس: من إيمانهم أن يقولوا: الله خالقنا، الله رازقنا، الله مدبر أمرنا، الله الذي يحيينا، الله الذي يميتنا، ومن شركهم أنهم إذا قيل لهم «لا إله إلا الله يستكبرون»، فكان كفار قريش مؤمنين بتوحيد الربوبية مشركين في الألوهية «ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله»، «ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهم العزيز العليم»، «ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله».

فألزمهم الله سبحانه وتعالى بتوحيد الألوهية؛ لكونهم مقرين بالربوبية، فتوحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية ما دمت تعتقد أن الله هو الذي خلقك فسواك فعدلك، ما دمت تعتقد أن الله هو الذي يرزقك، ما دمت تعتقد أن الله إذا دعوته أجابك، وإذا سألته أعطاك، وإذا مرضت شفاك، يجب أن تعبده وحده لا شريك له، كثر في القرآن الكريم إلزام المشركين بتوحيد الألوهية بتوحيد الربوبية الذي هم به مقرون، يقول تعالى: «الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون»، «قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من

الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون كذلك حقت كلمت ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون» «قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون»، فكثر في القرآن الكريم إلزام المشركين بتوحيد الألوهية الذي هم له منكرون، وفيه مشركون بتوحيد الربوبية الذي هم فيه مؤمنون بالله سبحانه وتعالى.

لماذا كان الله هو المعبود بحق؟

لأنه هو الذي خلقنا ورزقنا، وسوانا، وأعطانا، ويجيب دعاءنا، ويشفي مريضنا، وينصرنا «يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا» في العبادة «وأنتم تعلمون» أنه لا ندّ له في الخلق «أفمن يخلق كمن لا يخلق» كيف تسوون المخلوق بالخالق؟ «الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون» أي يسوون المخلوقين بربهم في العبادة، هم لم يسووهم بالله في الخلق والتدبير إنما سووهم به في العبادة، وقد أخبر الله سبحانه وتعالى أنهم سيندمون يوم القيامة على هذه التسوية «فكبكبوا فيها» أي في النار.

التوحيد هو الطريق لإقامة الدولة المسلمة

يقول الشيخ: وإذا أردنا إقامة الدولة المسلمة، فعلينا أن نعلم أن الطريق هو التوحيد، هو إفراد الله تعالى بالعبادة، هو أن نعبد الله مخلصين له الدين، كما قال عز وجل «فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا»، والتوحيد طلباً للأمن والأمان، طلباً للتمكين في الأرض، وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا» شريطة «يعبدونني لا يشركون بي شيئا»، فالتوحيد هو طريق التمكين وهو طريق تحقيق الأمن والأمان في الدنيا والآخرة، قال تعالى: «الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون».

والتوحيد طمعاً في دخول جنة الله رب العالمين سبحانه وتعالى، «فمن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»، و«من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة» عاجلاً إن لقي الله تائبا وإن لقي الله مصراً وشاء الله أن يغفر له أدخله الجنة عاجلا، وإن آخذه بذنوبه أدخله النار ليطهره ثم يخرجه من النار برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ولا يخلد في النار أبدا إلا من لم يقل لا إله إلا الله، لذلك كانت دعوتنا قائمة على التوحيد أولاً، نسأل الله العظيم رب العرش العظيم كما أحسن البداية أن يحسن النهاية، وأن يجعل آخر كلامنا من الدنيا لا إله إلا الله، والحمد لله رب العالمين وصل اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المحور الثاني: أهمية الاتباع وأثره في الدعوة

ثم تحدث الدكتور أيمن خليل حفظة الله ، مدير إدارة الدعوة بالمركز العام لأنصار السنة المحمدية قائلاً:

إن التوحيد إقرار لله عز وجل بالعبودية، وشهادة للنبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة، فمن شهد لله بالوحدانية ولم يشهد للنبي صلى الله عليه وسلم بالرسالة هل يكون موحدًا لربه سبحانه؟ لا يتحقق ذلك أبدًا إلا بأن يقر أن النبي صلى الله عليه وسلم هو رسول الله مرسل من عند الله سبحانه، وطالما أنه مرسل من عند الله سبحانه فقد أرسل ليبين لنا شرعًا قويماً، وأرسل بوحي من الله سبحانه، وهذا الوحي إما أن يكون قرآنًا وإما أن يكون سنة، وقد أمرنا باتباع

من السنة، كما أُمرنا باتباعه فيما بلغ من القرآن.

وكثير منا حينما لا ينتبه إلى هذا المصدر يحدث عنده الخلل، مصدرنا في التلقي ليس فعل فلان، مهما عظم قدره وعلا، ومصدرنا في التلقي قال الله، قال رسوله، لذا يقول ابن عباس رضي الله عنهما: توشك أن تقع عليكم حجارة من السماء؛ أقول لكم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقولون: قال أبو بكر وقال عمر!!

ومن رحمة الله عز وجل بنا أن الحق لا يُعرف بأحد، الحق لا يُعرف بالرجال، وإنما تعرف الرجال بانقيادها وانصياعها للحق، فالعصمة ليست للأفراد والعصمة ليست للرجال، وإنما من عصم هو من اتبع ولذا فإن الصحابة كانوا أشد الناس اتباعاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم يقول الدكتور أيمن خليل: إن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عقب موته كانوا ما بين مصدق ومكذب لموته هل يمكن أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات؟ حتى جاء النص وذكرهم أبو بكر بالآية «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم» يقول عمر رضي الله عنه: فكأنما أسمع هذه الآية لأول مرة، وإذا بالصحابة رضي الله عنهم وقد اختلفوا كما في موطأ الإمام مالك من بلاغاته، وفي مسند الإمام أحمد وفي سنن ابن ماجه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اختلفوا أين يدفن؟ فمن قائل: ادفنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند المنبر، ومن قائل: بل يدفن في مقابر المسلمين بالبقيع، فإذا بأبي بكر رضي الله عنه وأرضاه يستند إلى النص الشرعي لحسم الخلاف فيكون الاتباع، قال: (ما قبض نبي إلا حيث وجب أن يُقبر أو يدفن) أو كما قال، وقال: حديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نسيته ، فإذا بالصحابة لما علموا النص امتثلوا واتبعوا.

إذًا أول مشكلة قابلت الصحابة وأول أمر اختلفوا فيه بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم هو أين يدفن وبالاتباع وببركة الاتباع انتهى الخلاف.

مسألة الخلافة كادت تعصف بالأمة

المسألة الثانية: مسألة الخلافة وهي من أخطر المسائل التي كادت أن تعصف بالأمة، وهل أريقت الدماء إلا بسبب الخلافة والحكم؟! وهل وقع التقاتل بين المسلمين إلا بهذا السبب؟! وهل يقع ما يقع من إحن ومن محن في ديار المسلمين إلا بسبب هذه المسألة بتوابعها، وهي مسألة تحتاج إلى بحث في العلاقة بين الحاكم والمحكوم، هل يجوز الخروج على الحكام أم لا؟ وهل حكامنا في هذه الأيام خارجون من ملة الإسلام؛ لأنهم لا يحكمون بما أنزل الله؟ أم أنهم تثبت لهم أحكام الإيمان؟ هذه من الأمور الدقيقة التي ينبغي أن تُبحَث وأن تبحث بصدق وبوضوح وأن تبحث بمرجعية دينية، لا ينبغي أن تكتم هذه الأمور، وإلا فما وقع التشرذم بين المسلمين إلا بسبب هذه المسألة وما وقع الاختلاف والتناحر إلا بسبب هذه المسألة، وإذا بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الأنصار وقد بايعوا سعد بن عبادة رضي الله عنه، بايعوه على الخلافة، وإذا بأبي بكر وعمر رضي الله عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جميعا وقد ذهبوا إلى سقيفة بني ساعدة، النبي صلى الله عليه وسلم مات يوم الاثنين، وتركوا النبي صلى الله عليه وسلم وذهبوا للنظر في مسألة الخلافة.

وقد يتعجب بعض الناس، لك أن تتخيل أن الأنصار الذين آووا ونصروا، الذين بذلوا كل شيء لدين الله ولم يأخذوا شيئا، الذين أقام الله عز وجل بهم دولة التوحيد التي تمايزت عن دول الشرك في ذاك الزمان وقد بايعوا سعد بن عبادة رضي الله عنه، حينما يأبى المهاجرون أن يبايعوه ألم تقع فرقة؟ ألن يحدث تناحر بين الفريقين؟ ألا يؤدي ذلك إلى ما لا تُحمد عقباه؟ قال عمر رضي الله عنه : كنت قد زورت مقالة، أي هيأ مقالة في نفسه

يتحدث بها، فوالله تكلم أبو بكر بسجيته - بعفوية - فوالله ما ترك شيئا مما أعددته إلا قاله وزاد عليه وأحسن، وإذا بالخلاف وقد انتهى وإذا بالنزاع وقد ولى، بم؟ بالاتباع، بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الأئمة من قريش» انتهى التنازع، وانتهت بيعة سعد بن عبادة، ولم يتكلم الأنصار كلمة واحدة سمعا وطاعة لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نحن الأمراء وأنتم الوزراء...».

إذن مسألة الخلافة مع خطورتها الشديدة حُسمت بالاتباع، بالنص الشرعي، بالامتثال للنص الشرعي ووقى الله الأمة شر الفرقة واجتمعت بفضل الله سبحانه.

فاطمة رضي الله عنها وميراث النبي صلى الله عليه وسلم

مثل آخر نضربه أيضًا في ذلك الزمن الفاضل، وهي مسألة: ميراث النبي صلى الله عليه وسلم، فاطمة رضي الله عنها وأرضاها بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم تطلب ميراثها في أبيها، في رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن له من الولد سواها، إذن لها نصف التركة، والباقي سينتقل تعصيبًا إلى عمه العباس، هاهنا أبو بكر رضي الله عنه يرفض، لماذا؟ امتثالاً للشرع، تمسكًا بالوحي واتباعاً لسنة النبي صلى الله عليه وسلم، والذي بيّن أن الأنبياء لا تُورث، وقال صلى الله عليه وسلم:«ما تركناه صدقة» تغضب فاطمة رضي الله عنها، وماتت بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم بستة أشهر، ويأتي بعد ذلك العباس ويأتي علي رضي الله عنهما الذي يطالب بإرث زوجته رضي الله عنها، فإذا بالنص الشرعي فتنتهي المسألة، فالاتباع انتهى به الخلاف.

يقول الدكتور أيمن خليل: إذن الإشكال الذي في ذهن الصحابة ليس أنهم كفروا، هذا لم يقل به أبو بكر، ولذلك أيها المسلم الكريم فرّق بين قتالين وقعا في زمن أبي بكر بين قتال المرتدين، وهذا قتال لكفار أصليين، وبين قتال مانعي الزكاة، قتال مانعي الزكاة كان لفئة لم تخرج من دائرة الإسلام، وإنما تأولت مخطئة مخالفة الإجماع وقبله سنة النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنهم تأولوا قوله تعالى: «خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم» تأولوا أن ذلك خاص للنبي صلى الله عليه وسلم وأخطأوا في ذلك بمخالفتهم للسنة وبمخالفتهم لإجماع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فما قاتلهم لكفرهم، وإلا لما وقع إشكال عند عمر وعند غيره، إذن النص حسم المسألة في كل نازلة في كل واقعة اختلف الصحابة فيها حيث قد رجعوا إلى النص الشرعي، فعُصموا من الاختلاف وعصمهم المولى سبحانه من الفتنة بذلك، إذن الاتباع هذا تسليم بتوحيدك لله عز وجل، وتسليمك برسالة النبي صلى الله عليه وسلم بأنك متبع له.

حقيقة التزكية وآثارها

ثم كان المحور الثالث وقد تحدث فيه الدكتور: أحمد النقيب حفظه الله الأستاذ بكلية التربية جامعة المنصورة، في كلمته عن التزكية في الندوة التي عنوانها: «دعوتنا توحيد واتباع وتزكية».

الحقيقة أن الفصل بين هذه الثلاثة يكاد أن يكون صعباً، فكل من حقق التوحيد يلزمه أن يكون متبعاً وكل موحد متبع يلزمه أن يكون على جادة طريق التزكية، والتزكية قرينة التعليم «لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة»، فتأمل كيف أن الطريق بدأ بتلاوة الكتاب ثم ثني بالتزكية ثم كانت الثالثة: التعليم؛ لأن التلاوة لا يُقصد بها القص والحكاية ولكن التلاوة هنا تتضمن معنى الإعلام الذي فيه دلالة الإخبار كما تتضمن أيضاً: معنى الاتباع، فتأمل الفارق بين قول ربنا سبحانه وتعالى: «واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا» فالتلاوة هنا ليس معناها كقول الله تبارك وتعالى: «واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك» فالتلاوة هنا فيها معنى: الاتباع والانقياد والامتثال، والأولى فيها

معنى: التوقيف والمعرفة والإخبار والقص والحكاية، فكأن وظيفة الأنبياء ومنهم النبي عليه الصلاة والسلام أنهم يعلمون الناس ويخبرونهم بما يصلحهم، ويقربهم إلى الله عز وجل من أمور التوحيد، ومن أمور التزكية والإنسان يزكى بالتوحيد كما يزكى بالاتباع، التزكية: تزكية بالتوحيد وتزكية بالاتباع.

التزكية مرتبطة بسلامة المصدر والإمام والتنفيذ والنتيجة

إن الدين كله مبني على التزكية إنْ في أمور الاعتقاد أو في أمور الاتباع، والدين كله مبني على هذين الأصلين: التوحيد والاتباع، أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، وقد أصّل النبي صلى الله عليه وسلم في مكة هذين الأصلين العظيمين: لا إله إلا الله محمد رسول الله تأصيلاً عظيماً في نفوس الصحابة.

مصدر التلقي هو الوحي

فسلامة المصدر الكتاب والسنة وتحقيق هذه السلامة وجمع الناس على هذه المصادر النقية ، هذه درجة مهمة جداً لإرساء منهج التزكية، سلامة المصدر، أنت تتبع من؟ تسير على طريق من؟ تعظم من؟ وإياك أن ترهف بأي إنسان كائناً من كان، قال الإمام أحمد - عليه رحمة الله -: عجبت لمن عرف الإسناد وصحته -يعجب الإمام أحمد لمن عرف الإسناد وصحته أي يعرف صحة الدليل - ثم يقول بقول سفيان، سفيان هذا سفيان ابن عيينة شيخ الإسلام في الحديث في عصره، ألم نسمع قول الله عز وجل: «فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم» أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشرك، سلامة المصدر مهمة جداً.

إمامنا رسولنا قدوتنا

الإمام، الإمام القدوة، قال ربنا عز وجل في إبراهيم: «إن إبراهيم كان أمة» قال بعض أهل العلم: كان إماماً يُقتدى به في خصال الخير، ومنهج التزكية إمامه: رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذن عندنا إمامنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن أراد منهج التزكية فلينظر سنة النبي محمد صلى الله عليه وسلم القولية والفعلية، فلينظر إلى الصفات الخُلقية التي كان يتحلى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صفات العادة وهدي العادة ، كيف كان يأكل؟ كيف كان يبتسم؟ كيف كان يلبس؟ هذه كلها من خلاله صلى الله عليه وسلم من هديه صلى الله عليه وسلم، فمن أراد التزكية فعليه بالإمام المعصوم صلى الله عليه وسلم، كلٌ يُؤخذ منه ويُترك إلا النبي صلى الله عليه وسلم.. وهذا قول الإمام مالك، وأشار إلى قبر النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

ثالثاً: منهج الصحابة في التزكية، قال الإمام الشافعي وكذلك غير واحد من الأئمة: إذا صح الحديث فهو مذهبي، صحة الحديث لماذا؟ لأن النبي قاله، فلا بد أن يُعظم هذا القول، وأن يعظم هذا الفعل، إذن لا بد أن يكون لك إمام، من إمامك؟ إياك أن تقول: أنا في مدرسة الشيخ فلان، أنا مع الشيخ فلان، أنا لا آخذ أوامري إلا من الشيخ الفلاني، توجيهاتي من الشيخ الفلاني، نحن لدينا منهج الصحابة هو المحور الثالث في التزكية.

منهج الصحابة فهم الذين نفذوا وطبقوا؛ لأنهم الذين تلقوا هذا المصدر والذين صحبوا هذا الإمام والذين جعلهم الله عز وجل سبباً لتمكين هذا الدين، فكان جهدهم وجهادهم بعد قبض نبيهم دليلاً على تمكنهم من هذا الأمر، الفتوحات الكبيرة لم تكن في زمن النبي عليه الصلاة والسلام، فتح بلاد فارس وبلاد الروم وبلاد القبط، وبلاد اليمن وعمان وشمال إفريقيا وبلاد الترك والديلم وتركمان، كل ذلك وكثير منه كان في عهد الصحابة، النماذج التي طبقت دين الله عز وجل فإذا أردت أن تعرف منهج التزكية فعليك بمنهج الصحابة.

شكر الله لكم جميعاً، وجمعنا وإياكم في رحاب التوحيد، وتوفانا وإياكم على التوحيد، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

باب التفسير

تفسير سورة الزمر

الحلقة الرابعة

قال الله تعالى: «وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٨) أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ (١٩) لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ (٢٠) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (٢١) أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٢٢)» [الزمر١٧- ٢٢]

إعداد/ د. عبد العظيم بدوي

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده..

«وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا»

أي جعلوها في جنب وهم في جنب، فلم يقتربوا منها، فضلا أن يعبدوها، «وَأَنَابُوا إِلَى اللَّه» بالتوحيد، وإخلاص الدين له، وإسلام الوجه إليه، فلا بد لمن أراد النجاة من الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، كما صرح بذلك ربنا سبحانه في قوله: «فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» [البقرة: ٢٥٦]، ولذلك كانت كلمة التوحيد: لا إله إلا الله، فالجزء الأول من هذه الكلمة هو الكفر بالطاغوت، والجزء الثاني هو الإيمان بالله، وأهل لا إله إلا الله «لَهُمُ الْبُشْرَى» في الحياة الدنيا وفي الآخرة، كما قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ» [الشورى: ٣٠- ٣٢]، والله تعالى يأمر النبيَّ صلى الله عليه وسلم أن يبشرهم بهذه البشرى فيقول: «فَبَشِّرْ عِبَادِ»، والبشرى هنا مبهمة، فسرت في قوله تعالى: «وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» [البقرة: ٢٥].

اتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم:

ثم يصف الله تعالى أهل البشرى فيقول: «الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ» يحتمل أن يكون «الْقَوْلَ» عامًا، يشمل كل قول يسمعه الإنسان، فعلى كل من سمع قولا أن يتبع أحسنه، كما قالوا في أدب طالب العلم: ينبغي أن يكتب أحسن ما يسمع، وأن يحفظ أحسن ما يكتب، وأن يعمل بأحسن ما يحفظ.

ويحتمل أن يكون «الْقَوْلَ» خاصًا وهو القرآن؛ لأن الله تعالى سمى القرآن قولا فقال: « أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ » [المؤمنون: ٦٨]، وهنا يأتي سؤال: هل في القرآن حسن وأحسن؟

والجواب: نعم، قال الله تعالى: « وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ » [الزمر: ٥٥]، وقال لموسى عليه السلام حين أعطاه الألواح: «فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا» [الأعراف: ١٤٥]. فمن الحسن العدل، والعفو أحسن، قال تعالى: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ » [البقرة: ١٧٨]، فشرع الله تعالى القصاص فهو حسن، ثم ندب إلى العفو وهو أحسن، كما قال تعالى: « وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» [البقرة: ٢٣٧]، فجعل للمطلقة قبل الدخول نصف المهر، فإن أخذته كان حسنا، ثم ندب إلى العفو وهو أحسن، ولذلك قال: «وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى»، وقال تعالى: « وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ» [الشورى: ٤٠] فأباح الجزاء بالمثل، وهو حسن، ورغب في العفو، وهو أحسن. وقال تعالى: « إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» [البقرة: ٢٧١]، فإظهار الصدقة حسن، وإخفاؤها أحسن. وهكذا.

فمن اتبع أحسن القول كان من المهتدين، أصحاب العقول السليمة، كما قال تعالى: «أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ».

إن الهدى هدى الله:

ثم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: «أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ»: يريد الله أن يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم: « وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ » [يوسف: ١٠٣]، «وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ » [يونس: ٩٩]، ومعنى الآية: أن من حقت عليه كلمة العذاب، وهي: «لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ » [السجدة: ١٣]، لا يستطيع أحد أن يهديه فينقذه من النار؛ لأن الهدى هدى الله، «مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ » [الأنعام: ٣٩]، «فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ » [الأنعام: ١٢٥]، ولذلك قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم لما حزن على موت عمه أبي طالب على الشرك: « إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ » [القصص: ٥٦]، وكل ذلك تسلية من الله لرسوله حتى لا يحزنه كفر الكافرين، لأنه صلى الله عليه وسلم كان حريصًا كل الحرص على هداية الناس، ودخولهم في دين الله، فنهاه الله عن ذلك فقال: «يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ» [المائدة].

وقال تعالى: « وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ » [لقمان: ٢٣].

جزاء المتقين:

ولما بيَّن الله تعالى جزاء الظالمين الذين عبدوا غيره، أتبعه ببيان جزاء المتقين الذين اتقوه، واتقوا الشرك، واجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها، فقال تعالى: «لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ» فهم في أعلى عليين، في جنات النعيم.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا تتراءون الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ فِي الأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوِ الْمَغْرِبِ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ». قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ، تِلْكَ مَنَازِلُ الأَنْبِيَاءِ لاَ يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ قَالَ: «بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ» [متفق عليه].

وَعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا تُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا، وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا. فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: لِمَنْ أَطَابَ الْكَلاَمَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ» [صحيح سنن الترمذي ١٩٨٤].

«تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ»: «أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى» [محمد: ١٥].

هذا ما وعد الله عباده المتقين، «وَعْدَ اللَّهِ لاَ يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ»، وقد اعترف أهل الجنة بأن الله صدقهم وعده، قال تعالى: «وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ» [الزمر: ٧٣- ٧٤].

حقيقة الدنيا:

ولما كانت الدنيا سبب إعراض كثير من الناس عن الله والدار الآخرة، فإن الله تعالى قد ضرب لها المثل في سرعة الزوال والفناء، فقال تعالى: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لأُولِي الأَلْبَابِ».

والمعنى: إنما مَثل الحياة الدنيا كمثل ماء أنزله الله من السماء، فسقى به البذور المختلفة في الأرض، فنبتت هذه البذور على اختلاف أنواعها وألوانها، فَسُرَّ الزراع بها وفرحوا، ثم لم تلبث هذه النباتات ذات الألوان الجميلة أن اصفرت وذبلت، وذهبت نضرتها وبهجتها، ثم حصد الزراع الزرع، فخلت الأرض من النباتات التي كانت تزدان بها، وكأنها لم تكن مزروعة. وهكذا الدنيا، حلوة خضرة، تسر الناظرين، وتلهي الغافلين، ثم ينفخ في الصور فتُدك الأرض دكًا، «فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا» [طه: ١٠٦- ١٠٧]، ويومئذ يتحسر أهلها «ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا» [الأعراف: ٥١]، كما قال تعالى: «قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ» [الأنعام: ٣١].

وقد تكرر ذكر هذا المثل في القرآن الكريم في مواضع:

قال تعالى: «إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» [يونس: ٢٤].

وقال تعالى: «وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا» [الكهف: ٤٥].

وقال تعالى: « ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ » [الحديد: ٢٠].

ومع ضرب المثال حَذَّرَ الله تعالى من الدنيا والاغترار بها، فقال تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ » [فاطر: ٥]، وقال تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ » [لقمان: ٣٣].

وقوله تعالى: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ»: يعنيَ أن من شاهد هذه الأحوال في النبات علم أن أحوال الحيوان والإنسان كذلك، وأنه وإن طال عمره فلا بُدَّ له من الانتهاء إلى أن يصير مصفر اللون، منحطم الأعضاء والأجزاء، ثم تكون عاقبته الموت. فإذا كانت مشاهدة هذه الأحوال في النبات تُذَكِّرُهُ حصولَ مثل هذه الأحوال في نفسه وفي حياته، فحينئذ تعظم نفرته من الدنيا وطيباتها.

والحاصل أن الله تعالى في الآيات المتقدمة ذكر ما يُقَوِّي الرغبة في الآخرة، وذكر في هذه الآية ما يُقَوِّي النفرة من الدنيا، فشَرْحُ صفات القيامة يُقَوِّي الرغبة في طاعته، وشَرْحُ صفات الدنيا يُقَوِّي النفرة من الدنيا. وإنما قدم الترغيب في الآخرة على التنفير من الدنيا؛ لأن الترغيب في الآخرة مقصود بالذات، والتنفير من الدنيا مقصود بالعَرَض، والمقصود بالذات مقدم على المقصود بالعرض. [التفسير الكبير(٢٦/ ٢٦٤)].

وفي الآية دليل على أن من ينتفع بآيات الله ويتذكر بها فهو من أولي العقول السليمة، وأن من لم ينتفع بآيات الله ولم يتذكر بها فهو من الذين لا يعقلون.

الفرق بين المؤمن والكافر:

ثم فرَّق الله تعالى بين الفريقين فقال: «أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ»:

الجملة الأولى من هذه الآية جملة شرطية، جوابها محذوف، دلت عليه الجملة الثانية، والمعني: «أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَام فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ» كمن قست قلوبهم؟! أو «أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَام فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ» كمن جعل الله صدره ضيقًا حرجًا؟! لا يستوون. كما قال تعالى: «أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلۡكَٰفِرِينَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ » [الأنعام: ١٢٢]. وقال تعالى: « أَفَمَن كَانَ مُؤۡمِنٗا كَمَن كَانَ فَاسِقٗاۚ لَّا يَسۡتَوُۥنَ ١٨ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡمَأۡوَىٰ نُزُلَۢا بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٩ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُواْ فَمَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمۡ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ » [السجدة: ١٨- ٢٠].

«فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ»: وهم الذين لم يشرح الله صدورهم للإسلام، لانطماس بصيرتهم وموت قلوبهم، كما قال تعالى: «إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ٢٢ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ » [الأنفال: ٢٢- ٢٣]، وقال تعالى: «وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ » [الأعراف: ١٧٩]، وقال هنا: «أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ» أي ظاهر واضح؛ لأنهم استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، واشتروا بآيات الله ثمنا قليلًا، واشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة، فبئس ما يشترون.

وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

البيان السابع والعشرون

بشأن مسودة الدستور الصادرة عن الجمعية التأسيسية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعدُ:

إنه في يوم السبت الموافق ٢٥ من ذي الحجة ١٤٣٢هـ ١٠ نوفمبر ٢٠١٢م اجتمع مجلس شورى العلماء وقرر الآتي:

أولاً: يطالب مجلس شورى العلماء بوضع مادة فوق دستورية صريحة قاطعة تنص على أن الشريعة الإسلامية هي مصدر التشريع وأن أي قانون يخالف الشريعة الإسلامية فهو باطل، قال الله تعالى: «ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» (الجاثية: ١٨).

ثانيًا: كل مسلم ينبغي أن يكون له دور في نصرة الشريعة ويبذل ما استطاع من جهد في سبيل تحكيم شريعة الله، مستخدمًا كل سبل التأثير المشروعة في تحقيق ذلك.

ثالثًا: إذا أردنا دستورًا جديدًا يصلح الله به البلاد والعباد، فيجب ألا يُحل الدستور الجديد حرامًا ولا يُحرم حلالاً، ولا يصادم كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في أي فقرة منه.

رابعًا: يعكف مجلس شورى العلماء - في هذه الأيام - على النظر في مواد الدستور التي أبدى ملاحظات عليها، منها المادة الأولى التي تتحدث عن النظام الديمقراطي الذي يتعارض في أصوله مع قواعد الإسلام، فإن كان واضع هذه المادة يقول أنها من الإسلام فالتصريح بكلمة النظام الإسلامي أحق، وإن كانت تخالف الإسلام فلا حاجة للمسلمين بها.

خامسًا: المادة الثالثة من الدستور لا حاجة إليها بعد وجود المادة الثانية التي تكفل لغير المسلمين حقوقهم، والمجلس بصدد دراسة مواد مسودة الدستور مادة مادة، والتعليق على كل مادة بما يناسبها وسيُصدر ذلك - بإذن الله - ببيان تفصيلي بهذه المواد المتحفظ عليها.

سادسًا: نصت الدساتير السابقة في مصر على التطبيق العملي للشريعة الإسلامية، فنطالب بتفعيل هذه المواد على أرض الواقع، والشريعة الإسلامية هي اليسر كله، ولا عسر فيها، قال تعالى: «يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ» (البقرة: ١٨٥).

سابعًا: ليس لأحد من البشر العصمة إلا الرسل، فلا يصلح أن يكون بالدستور نص على أي أحد من الناس على أنه غير قابل للعزل أو الإقالة.

هذا والله الموفق والمستعان.

وصلِّ اللهم على محمدٍ وآله وصحبه وسلم.

أعضاء المجلس

١- فضيلة الدكتور/ عبد الله شاكر، (رئيسًا).
٢- فضيلة الدكتور/ محمد حسان، (نائبًا).
٣- فضيلة الشيخ/ أبو إسحاق الحويني، (عضوًا).
٤- فضيلة الشيخ/ محمد حسين يعقوب (عضوًا).
٥- فضيلة الدكتور/ سعيد عبد العظيم، (عضوًا).
٦- فضيلة الشيخ/ مصطفى العدوي، (عضوًا).
٧- فضيلة الدكتور/ جمال المراكبي، (عضوًا).
٨- فضيلة الشيخ/ أبو بكر الحنبلي، (عضوًا).
٩- فضيلة الشيخ/ وحيد بن بالي، (عضوًا).
١٠- فضيلة الشيخ/ جمال عبد الرحمن، (منسق المجلس).

روى الإمام البخاري في «صحيحه» في كتاب العلم في باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم، قال: حدثنا خالد بن مخلد، حدثنا سليمان، حدثنا عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن من الشجر شجرةً لا يسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، حدثوني ما هي؟ قال: فوقع الناس في شجر البوادي، قال عبد الله: فوقع في نفسي أنها النخلة. ثم قالوا: حدثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: هي النخلة».

الرسول المعلم صلى الله عليه وسلم

إعداد/ أ. د. السيد عبد الحليم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

إمام المحدثين:

من المعروف عند العلماء المحدثين وغيرهم أن الإمام البخاري واسع الجوانب في إمامته وعلمه، وعميق النظر في إدراكه وفهمه، دقيق الاستنباط في استخراج الأحكام من النصوص، قرآنا كانت أو سنة، وله في ذلك الباع الأوسع، والقدرة الفائقة العجيبة، لم يلحق به لاحق، ولم يسبق إلى ما أبدع فيه سابق، وهو إلى جانب إمامته في الحديث، وإمامته في الفقه، وإمامته في تاريخ الرجال، وإمامته في الجرح والتعديل، إلى جانب ذلك كله هو مُرَبٍّ كبير عظيم، وإذا عُدَّ المربون في ملتنا وأمتنا - وما أكثرهم - فإن البخاري في صفوفهم الأولى؛ وذلك:

١- بإفراده في «صحيحه» بابًا بل كتابًا مهمًا هو «كتاب العلم»، ثم كتابًا آخر هو «كتاب الأدب»، وكل منهما فيه أبواب وفصول رائعة ثمينة، ولفتات تربوية وتعليمية على غاية في الأهمية والنفاسة.

٢- بتأليفه كتابًا كبيرًا مستقلاً في الأدب بمعناه العلم، وهو حسن السلوك مع الله، ثم مع الناس دينًا ودنيا، وهو الكتاب المشهور باسم «الأدب المفرد»؛ لأنه أفرده وجعله مستقلاً عن كتابه «الجامع الصحيح»، وقد استقرأ فيه البخاري ألوانًا من السلوك الخلقي والاجتماعي اللائق بالمنزلة العالية التي أقام فيها القرآن العظيم، والإسلام الكريم، هذا الكائن الإنساني

الرفيع الذي قرر له كرامته في محكم كتابه فقال: «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا» [الإسراء: ٧٠].

ونحن في تأملنا في صنيع البخاري فيما أورده في «صحيحه» في «كتاب العلم»، وفي «كتاب الأدب»، وفيما أورده في «الأدب المفرد»، نجد أنفسنا أمام مُرَبٍّ كبير من أعظم المربين، وتاريخ الفكر التربوي والتعليمي لا ينسى أبدًا أن البخاري هو أبُ المنهج الحديثي الذي شق للناس طريقًا في نقل الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم، وتمييز الحديث الصحيح من غيره، ثم إفراده الصحيح في كتاب.

والبخاري المربي هذا هو الذي خطَّ منهجًا كان له أثر كبير في الحياة الإسلامية الثقافية والتعليمية، أعني منهجه الحديثي وشرطه المعروف فيه.

والبخاري هو الذي أُوتي الفهم الدقيق لمضمون الحديث، واستخراج ما فيه من حكم وأحكام، وتوزيعه الحديث الواحد على الأبواب، أي تقطيعه له، وإيراده منه في كل باب ما يناسبه: يدل على مدى تصور البخاري لشمول الحياة، وضرورة تحرّي كل ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل أمر من أمور الحياة دقيقًا أو جليلًا.

وبحسبنا وقد أَلْمَحْنا إلى مكانة الإمام البخاري في ميدان التربية الإسلامية، وأثره الطيب فيها أن نعود إلى شرح الحديث الذي سبق ذكره.

وإلى بيان من أخرجه من العلماء في كتابه فنقول: هذا الحديث الشريف رواه البخاري في عشرة مواضع من «صحيحه»، فرواه في أربعة مواضع من كتاب العلم:

أولًا: في باب قول المحدث: أنبانا وأخبرنا وحدثنا، يريد البخاري بهذا أن هذه الألفاظ الثلاثة: التحديث والإنباء والإخبار تكون بمعنى واحد؛ لأنه جاء في رواية من روايات هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «فحدثوني ما هي؟» وفي رواية: «أنبئوني؟» وفي رواية: «أخبروني؟».

ثانيًا: روى البخاري هذا الحديث في باب: طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم.

ثالثًا: في باب: الفهم في العلم.

رابعًا: في باب: الحياء في العلم.

خامسًا: ورواه في «كتاب البيوع» في باب: بيع الجُمَّار وأكله.

سادسًا: ورواه في «كتاب الأطعمة» في باب: بركة النخلة.

سابعًا: في باب: أكل الجُمَّار.

ثامنًا: ورواه في «كتاب التفسير» في تفسير سورة إبراهيم عليه السلام عند ذكر قوله تعالى: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» [إبراهيم: ٢٤- ٢٥].

تاسعًا: ورواه في «كتاب الأدب» في باب: ما لا يستحيى من الحق للتفقه في الدين.

عاشرًا: في باب إكرام الكبير ويبدأ الأكبر بالكلام والسؤال.

ورواه الإمام مسلم في «صحيحه» في أواخر «كتاب صفة القيامة والجنة»، قبل «كتاب صفة الجنة وأهلها ونعيمها».

ورواه الإمام أبو عيسى الترمذي في «سننه» في أبواب الأمثال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في باب: ما جاء في مثل القارئ للقرآن وغير القارئ، وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

ورواه الإمام مالك في كتابه «الموطأ» من رواية ابن القاسم وغيره، أما رواية يحيى الليثي فإنه لا وجود لهذا الحديث فيها، كما أفاد الإمام السهيلي ونقله عنه المفسر القرطبي في «تفسيره».

ورواه الإمام أحمد في «مسنده» في ستة مواضع من مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنه، كما رواه ابن حبان في «صحيحه»، وأبو عوانة في «صحيحه» أيضًا.

وقد رأيت أن أجمع بين رواية هؤلاء لهذا الحديث الشريف ليكون لنا منها جميعًا نص كامل نتبين منه ما سنشير إليه من الأحكام والآداب والفوائد الغالية المستنبطة.

يقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: كنا جلوسًا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فَأُتِيَ بِجُمَّارِ نخلة، فَقَالَ وهو يأكل منه: إن من الشجر شجرة خضراء، لها بركة كبركة المسلم، لا يسقط ورقها، ولا يتحاتّ، وإنها ينتفع بها مثل المسلم، أو قال: تشبه المسلم أو المؤمن، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، فحدثوني ما هي؟ قال عبد الله بن عمر: فوقع الناس في شجر البوادي، فقال القوم: هي شجرة كذا، هي شجرة كذا، وقالوا، وقالوا، فلما لم يقولوا شيئًا ولم يصيبوا، وقع في نفسي أنها النخلة، فأردت أن أقول: هي النخلة، فالتفت فإذا أنا عاشر عشرة، أنا غلام شاب أحدثهم؛ أصغر القوم، ورأيت أبا بكر وعمر ثمة لا يتكلمان، فلما لم يتكلما كرهت أن أتكلم فاستحييتُ وسكتُّ، فلما لم يقولوا شيئًا قالوا: يا رسول الله أخبرنا بها، حدثنا ما هي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هي النخلة، فلما قمنا خرجت مع أبي وحدثته ما وقع في نفسي؛

وقلت: يا أبتاه: والله لقد كان في نفسي أنها النخلة، من أجل الجمَار الذي أُتيَ به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ما منعك أن تقولها؟ قلت: ما منعني إلا أني لم أرك ولا أبا بكر تكلمتما، فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئًا، فقال عمر: لأن تكون قلتها كان أحب إليَّ من كذا وكذا، أحسبه قال: كان أحب إليَّ من حُمْرُ النعَم».

ترجمة رواة الحديث:

فأول هؤلاء الرواة من جهة البخاري: خالد بن مخلد، وهو أبو الهيثم القطواني البجلي الكوفي، روى عن سليمان بن بلال وعن سفيان الثوري، وعبد الله بن عمر وغيرهم، وروى عنه البخاري وأبو بكر بن أبي شيبة وصالح بن القطان وعباس الدوري. وثقه البخاري والعجلي وابن معين. وأما قول الإمام أحمد فيه: يروي المناكير، فلم يُردْ أحمد بذلك أنه ضعيف الحديث، وإنما يريد أن له أحاديث أفرادًا لا متابع له عليها، كما بينه الإمام اللكنوي في كتابه: «الرفع والتكميل في الجرح والتعديل»، وكانت وفاة خالد بن مخلد سنة ٢١٣هـ.

وثاني هؤلاء الرواة: سليمان وهو أبو محمد سليمان بن بلال المدني الفقيه المشهور، روى عن زيد بن أسلم وعبد الله بن دينار وحميد الطويل وهشام بن عروة وجعفر الصادق وغيرهم، وروى عنه أبو عامر العقدي وعبد الله بن المبارك ويحيى النيسابوري وغيرهم، أثنى عليه مالك، ووثقه أحمد وابن معين، وقال ابن سعد: كان ثقة عاقلًا، حسن الهيئة، يفتي الناس بالمدينة، مات سنة ١٧٢هـ.

الشيخ الثالث في سند البخاري: هو عبد الله بن دينار، وهو عبد الله بن دينار العدوي المدني التابعي الجليل، مولى ابن عمر، روى عن عدد من الصحابة، منهم ابن عمر وأنس رضي الله عنهما، وروى عن سليمان بن يسار ونافع القرشي وغيرهم، وروى عنه الإمام مالك وشعبة بن الحجاج أبو بسطام، وعبد العزيز بن الماجشون وجماعات غيرهم، واتفقت الكلمة على توثيقه وصدقه ودينه وفضله، وما قاله ابن الحذاء في «رجال الموطأ» من أنه لا يعلم له رواية عن أحد إلا عن ابن عمر ففيه قصور شديد، كما نبّه إليه الحافظ ابن حجر في «تهذيب التهذيب»، وكانت وفاة ابن دينار سنة ١٢٧هـ.

الشيخ الأخير في سند البخاري هو سيدنا عبد الله بن عمر، وهو الصحابي ابن الصحابي عمر بن الخطاب، رضي الله عنهما، يكنى أبا عبد الرحمن، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعن عمه زيد وعن عائشة وعن أخته حفصة، وعن غيرهم من الصحابة.

وروى عنه أبناؤه السبعة: بلال وزيد وحمزة وسالم وعبد الله وعبيد الله وعمر، وأبناء أبنائه، وأبناء إخوته، ونافع وأسلم وسعيد بن المسيب ومجاهد، وابن دينار، وخلائق غيرهم لا يحصون كثرة.

أثنى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وزكّاه خير تزكية، فقال عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام: «إن عبد الله رجل صالح».

قال الحافظ أبو نعيم: أُعطي ابن عمر القوة في المجاهدة والعبادة، والرجولة، والمعرفة بالآخرة، والإيثار لها، وما مات حتى أعتق ألف إنسان أو أزيد، وتوفي سنة ٧٤هـ بعد الحج، ومات.

شرح الحديث:

أما «جُمّار النخلة» فهو قلب النخلة وشحمها، يكون لينًا ويؤكل بالعسل، قال أبو بكر بن العربي: ويقال له الجامور أيضًا.

وأما «بركة النخل» فهي خيره ونفعه العميم.

فأما قوله: «لا يتحاتّ ورقها» أي لا يتناثر ولا يتساقط.

وأما قوله صلى الله عليه وسلم: «وإنها مثل المسلم»، فهذا اللفظ الكريم رُوي بكسر الميم وسكون الثاء، وروي بفتح الميم وفتح الثاء أي مثل المسلم، وكلاهما بمعنى واحد.

قال الجوهري في «الصحاح»: مِثْل الشيء ومَثَله: كلمة تسوية، كما يقال: شِبْه وشَبَهُه بمعنى واحد، قال: والمثل أيضًا ما يضرب من الأمثال.

ووجه شبه النخلة بالمسلم قائم من جهات كثيرة، وذلك في كثرة خيرها، ودوام ظلها، وطيب ثمرها، ووجوده على الدوام، فإنه من حين يطلع ثمرها لا يزال يؤكل منه أنواع حتى ييبس، وبعد أن ييبس يُتخذ منه منافع كثيرة، فخشبها وورقها وأغصانها تُستعمل جذوعًا وحطبًا وعصيًا، وغير ذلك مما لا يخفى، ثم آخر شيء نواها، فإنه يُنتفع به علفًا للإبل.

وأما جمال نباتها، وحُسن هيئة تمرها، وفارع طولها، واستمرار خضرة أوراقها، وتماسك جذعها، من أن تلعب به الرياح والأعاصير، وكريم ظلها لمثل من كان في قلب جزيرة العرب: فمنافع مشهودة ومتع محمودة.

وكذلك المسلم والمؤمن كله خير ونفع، فهو ثابت الإيمان بالله كثبوت النخلة على أساسها، باهي العمل، سامي القول، كعلو النخلة في السماء، كثير الطاعات على ألوانها ما بين صائم ومصل، وتال للقرآن ومتصدق، وذاكر لله ومذكر بالله، وآمر بالمعروف وناه عن المنكر، يخالط الناس ويصبر على أذاهم، آلف مألوف، ينفع ولا يضر، مكارم أخلاقه مبذولة للناس، لا يزيده طول الأيام إلا بسوقًا وارتفاعًا، ولا تجد فيه الشدائد والأهوال إلا ثباتًا ورسوخًا على الحق، وسموًا إلى الخير والنفع، وشفوفًا عن الدنايا والسفاسف، عمله صاعد إلى ربه

بالقبول والرضوان، إن جالسته نفعك، وإن شاركته نفعك، وإن صاحبته نفعك، وإن شاورته نفعك، وكل فعل من أفعاله نفع، وما يصدر عنه من العلوم فهو قوت للأرواح والقلوب، لا يزال مستورًا بدينه لا يعرى من لباس التقوى، ولا ينقطع عمله في غنى أو فقر، ولا صحة أو مرض، بل لا ينقطع عمله بعد موته إذا نذر من حياته لآخرته، وغنم من يومه لغده، ينتفع من كل ما يصدر منه حيًا وميتًا؛ إذ مبعث أعماله كلها الإيمان والنفع.

وأما وجه الشبه بين النخلة والمسلم من جهة عدم سقوط الورق.

فقال الإمام أبو بكر بن العربي: هو أن النخلة لا تعرى عن لباسها من الورق، فالمؤمن لا يعرى عن لباس التقوى، فإن اللباس الظاهر يقيه من آفات الدنيا، والتقوى تقيه من آفات الآخرة.

وقال الحافظ ابن حجر: وجه الشبه بينهما هو ما رواه الحارث بن أسامة في هذا الحديث من وجه آخر عن ابن عمر، ولفظه: «كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم، فقال: إن مثل المؤمن كمثل شجرة لا يسقط لها أنملة، أتدرون ما هي؟ قالوا: لا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنها النخلة».

ثمرات من هذا الحديث:

وأفاد الحديث الذي نشرحه أحكامًا كثيرة وفوائد عديدة، وبيّن العلماء هذه الفوائد وهذه الأحكام:

أفاد الحديث: بركة النخلة وما تثمره، ويكفي في الدلالة على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب بها المثل بالمؤمن، وأن الله تعالى ضرب بها المثل في كلمة التوحيد، وهي شهادة أن لا إله إلا الله، فقال سبحانه: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» [إبراهيم: ٢٤، ٢٥].

واستدل الإمام مالك رضي الله عنه من هذا الحديث على أن الخواطر التي تقع في القلب في محبة الثناء على أعمال الخير لا يقدح فيها ذلك إذا كان أصلها لله عز وجل، وذلك مستفاد من تمني عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يكون ابنه قال في جواب سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم: هي النخلة، ووجه تمني عمر رضي الله عنه ما طبع الإنسان عليه من محبة الخير لنفسه ولولده، ولتظهر فضيلة الفهم في الولد من صغره، وليزداد من النبي صلى الله عليه وسلم حظوة، ولعله كان يرجو له إذ ذاك أن يدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم له بالزيادة في الفهم.

وفي الحديث أيضًا: امتحان العالم أذهان الطلبة بما يخفى، مع بيانه لهم إن لم يفهموه، كما بوب البخاري.

وفي الحديث أيضًا: إشارة إلى أن من يُوَجَّه إليه اللغز ينبغي أن يتفطن إلى قرائن الأحوال الواقعة عند السؤال، وأن قائل اللغز ينبغي ألا يبالغ في التعمية، بحيث يجعل للملغز له بابًا يدخل منه، بل كلما قرّبه كان أوقع في نفس سامعه.

وأما ما رواه أبو داود من حديث معاوية عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه «نهى عن الأغلوطات»، وهي صعاب المسائل، فإن ذلك محمول على ما لا نفع فيه، أو على ما يُقال على سبيل التعنيت والتعجيز.

واستُفيد من حديث ابن عمر التحريض على الفهم في العلم، وقد بوَّب البخاري عليه بقوله: «باب الفهم في العلم»، كما استفيد منه استحباب الحياء ما لم يؤدِ إلى تفويت مصلحة، ولذلك تمنى عمر أن يكون ابنه لم يسكت.

أما تشبيه الله تعالى كلمة التوحيد بالنخلة، فهذه الكلمة الطيبة هنا في الآية الكريمة عبر بها عن المبدأ الكلي الجامع، الذي يعتنقه الإنسان المؤمن، ويقول به، ويعلنه في الناس.

كما فيه الإشارة إلى أن تشبيه الشيء بالشيء لا يلزم أن يكون ذلك المشبه نظير المشبه به من جميع وجوهه، فإن المؤمن كما قال الإمام أبو بكر بن العربي: «لا يماثله شيء من الجمادات، ولا يعادله حتى الكعبة المعظمة التي يستقبلها في العبادة، فلا شيء بعد الله ورسوله أعظم من المؤمن».

وفي الحديث الشريف: توقير الكبير وتقديم الصغير أباه في القول، وأنه لا يبادره بما فهمه، وإن ظن أنه الصواب.

وفي الحديث أيضًا: أن العالم الكبير قد يخفى عليه ما يدركه من هو دونه؛ لأن العلم مواهب، والله يؤتي فضله من يشاء.

وفي الحديث أيضًا: الإشارة إلى حقارة المال النفيس في جلب النعم، فإن عمر رضي الله عنه قابل فهم ابنه لمسألة واحدة بحمر النعم، مع عظم مقدار ثمنها وغلائها عند العرب آنذاك.

وفي الحديث أيضًا: أكل النبي صلى الله عليه وسلم بحضرة القوم، وهو سيد السادات، ويستفاد منه أن ذلك لا يغض من مقامه العظيم إذا فعله.

وبعدُ: فقد تضمن هذا الحديث لونًا من ألوان التعليم عند النبي صلى الله عليه وسلم.

نسأل الله أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا، والحمد لله رب العالمين.

درر البحار من ضعيف الأحاديث القصار

القسم الثاني

الحلقة الرابعة

إعداد/ علي حشيش

٤٤- «دَفْنُ البَنَاتِ مِنَ الْمُكْرَمَاتِ».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٢٧٨/٢) (٤٤٢/٣) من حديث ابن عمر مرفوعًا، وفيه حميد بن حماد يحدث عن الثقات بالمناكير، والحديث موضوع.

٤٥- «إذَا سَمَّيْتُمْ فَعَبِّدُوا».

الحديث لا يصح: أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٨٣/١٧٩/٢٠) من حديث عبد الملك بن أبي زهير عن أبيه مرفوعًا، وفيه أبو أمية بن يعلى الثقفي واسمه إسماعيل بن يعلى، قال الذهبي في «المغني»: بصري متروك، وبه أعله الهيثمي في «المجمع» (٥٠/٨).

٤٦- «إنَّ اللهَ لا يَهْتِكُ سِتْرَ عَبدٍ فِيهِ مثقالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيرٍ».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١٢٩/٣) من حديث أنس مرفوعًا، وفيه الربيع بن بدر قال النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٢٠٠): متروك.

٤٧- «إيَّاكمْ والجُلُوسَ في الشَّمْسِ، فَإنَّها تُبْلي الثَّوْبَ، وتُبَيِّن الرِّيحَ، وتُظْهِرُ الدَّاءَ الدَّفِينَ».

الحديث لا يصح: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤١١/٤) من حديث ابن عباس مرفوعًا، وتعقبه الذهبي في «التلخيص» بقوله: «قلت: ذا من وضع الطحان». اهـ. وهو محمد بن زياد الطحان.

٤٨- «إنَّ مِنَ السُّنةِ أَن يَخْرُج الرَّجُلُ مَعَ ضَيْفِهِ إِلَى بَابِ الدَّار».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن ماجه (ح٣٣٥٨)، وفيه علي بن عروة، قال ابن حبان: كان يضع الأحاديث، كذا في «المجروحين» (١٠٧/٢).

٤٩- «لاَ تَتَمَارَضُوا فَتَمْرَضُوا، وَلاَ تَحْفُرُوا قُبُورَكم فتَمُوتوا».

الحديث لا يصح: أورده ابن أبي حاتم في «العلل» (٣٢١/٢) (ح٢٤٨١) عن ابن عباس مرفوعًا، وقال: سألت أبي عنه فقال: «هذا حديث منكر». وآفته محمد بن سليمان

الصنعاني، قال الذهبي: «مجهول والحديث الذي رواه منكر، يعني هذا».

٥٠- «الْعَالِمُ لا يُخَرِّفُ».

الحديث لا يصح: أورده ابن أبي حاتم في «العلل» (٤٣٩/٢) (ح٢٨٢١) من حديث أنس مرفوعًا، وقال: سألت أبي عنه فقال: فيه العلاء بن زيد، ضعيف الحديث متروك الحديث، وقال الذهبي: تالف، قال ابن المديني: كان يضع الحديث.

٥١- «أَنَا عَرَبِيٌّ، وَالْقُرْآنُ عَرَبِيٌّ، ولِسَانُ أَهْلِ الْجَنَّةِ عَرَبِيٌّ».

الحديث لا يصح: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٧١/١٠) (ح٩١٤٣) من حديث أبي هريرة، وفيه عبد العزيز بن عمران، قال النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (٣٩٣): متروك الحديث.

٥٢- «مَا أُوتيَ قَوْمٌ الْمَنْطِقَ إِلاَّ مُنِعُوا الْعَمَلَ».

الحديث لا أصل له، قال العراقي في «تخريج الإحياء» (٤٢/١): «لم أجد له أصلاً».

٥٣- «تَخَلَّلُوا فَإِنَّهُ نَظَافَةٌ، وَالنَّظَافَةُ تَدْعُو إِلَى الإِيمانِ، والإيمانُ مَعَ صَاحِبِهِ فِي الْجَنَّةِ».

الحديث لا يصح: أخرجه الطبراني في «الأوسط» (١٥٣/٨) من حديث أبي مسعود، وفيه إبراهيم بن حَيّان، قال ابن عدي في «الكامل» (٢٥٤/١) (٨٤/٨٤) أحاديثه موضوعة مناكير.

٥٤- «مَا مُطِرَ قَوْمٌ إِلاَّ بِرَحْمَةِ اللَّهِ، وَلاَ قُحِطوا إِلاَّ بِسَخَطه».

الحديث لا يصح: أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (ح٧٤٣) من حديث أبي أمامة مرفوعًا، وفيه جُميع بن ثوب، قال الإمام البخاري في «التاريخ الكبير» (٢٣٣١/٢٤٣/١): «منكر الحديث»، وقال الإمام النسائي في «الضعفاء والمتروكين» (١٠٥): «متروك».

٥٥- «تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللَّهِ، ولا تفكروا في الله فَتَهْلَكُوا».

الحديث لا يصح: أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (ح٤) من حديث أبي ذر مرفوعًا، وفيه سيف بن محمد الكوفي ابن أخت سفيان الثوري، قال أحمد: كذاب، وقال ابن معين: كذاب. كذا في «الميزان» (٣٦٣٩/٢٥٦/٢).

دراسات قرآنية

الخشوع

إعداد/ مصطفى البصراتي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، وبعدُ:

فقد تكلمنا في الحلقتين السابقتين عن تدبر القرآن الكريم، ولا شك أن التدبر يورث الخشوع، وأن من تدبر القرآن خشع لله، ولان قلبه، وخاف من الله تعالى، وقد ذكر الله عاقبة الخوف، فقال عز وجل: «إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ» [الملك: ١٢]. فامر بالخوف وأوجبه وجعله شرطًا في الإيمان؛ فلذلك لا يتصور أن ينفك مؤمن عن الخوف، وإن ضعف فيكون ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته وإيمانه، وقال عز وجل: «وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ» [البقرة: ٤٠]، وقال تعالى: «إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ۝٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ۝٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ» [المؤمنون: ٥٧- ٦١].

فينبغي للمؤمن أن يرتقب وينتقل من مرتبة التدبر إلى مرتبة الخشوع، وتهزه كلمات الله تعالى، قال تعالى: «أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ» [الحديد: ١٦]. والشاهد في الآية الكريمة أن الموجَّه إليهم الخطاب هم المؤمنون، ولكنهم لم تخشع قلوبهم بعدُ، مما يدل على أن الخشوع هو الدرجة الأعلى التي تلي درجة القلب السليم، والتي توصلنا إلى أنها أول درجات الإيمان وأدنى مراتب حياة القلوب، فما هو الدافع لهذه القلوب إلى أن ترتقي إلى مرتبة أعلى في دائرة الإيمان؟ إنه الخشوع، ولكن خشوع القلب، فأحكام الله تكاليف، قال الله تعالى: «وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ» [البقرة: ٤٥]، ومما صح من أدعية رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول في دعائه: «اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع». رواه مسلم، [كتاب القلب ووظائفه لسلمان وزيد اليماني].

الخشوع لغة:

قال ابن القيم في المدارج: «الخشوع في أصل اللغة: الانخفاض، والذل والسكونُ، قال الله تعالى: «وَخَشَعَتِ ٱلۡأَصۡوَاتُ لِلرَّحۡمَٰنِ» [طه: ١٠٨]، أي: سكنت، وذلت، وخضعت، ومنه وصف الأرض بالخشوع وهو يبسها، وانخفاضها، وعدم ارتفاعها بالري، قال الله تعالى: «وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ» [فصلت: ٣٩]، وقال ابن دُريد: الخاشعُ: المستكين، والراكع.

واصطلاحًا: قيامُ القلب بين يدي الرب بالخضوع والذل، وقيل: هو الانقياد للحق، وقال الجنيد: الخشوع تذلل القلوب لعلام الغيوب. قال ابن القيم رحمه الله: والحق أن الخشوع معنى يلتئم من التعظيم والمحبة والذل والانكسار. [مدارج السالكين ١/٥٥٨ بتصرف].

الفرق بين الخشوع والخضوع:

ذهب بعض العلماء إلى أن تعريف الخشوع بالخضوع فيه تسامح؛ إذ إن الخضوع ورد مرتين في الذكر الحكيم على غير سياق المدح، فقال تعالى: «فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ» [الأحزاب: ٣٢]، وقال تعالى: «إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ» [الشعراء: ٤].

والخضوع هو التطامن والتطاطؤ، ولا يقتضي

أن يكون معه خوف، ولهذا لا يجوز إضافته إلى القلب فيقال خضع قلبه، وقد يجوز أن يخضع الإنسان تكلفًا من غير أن يعتقد أن المخضوع له فوقه، ولا يكون الخشوع كذلك. [كتاب الفروق اللغوية ص٢٠٦].

والخشوع محله القلب، وثمرته على الجوارح، وهي تُظهره، وليس مقصورًا على القلب، بل كل ما في الإنسان له حالة خشوع، كالسمع والبصر، والمخ والعظم والعصب، والوجه والأصوات، وكذلك الجماد كالأرض والجبل، وأوضح ذلك القرآن والسنة، سواء كان ذلك في الدنيا أو عند البعث.

فعن خشوع الأصوات يقول الحق تبارك وتعالى: «وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا» [طه: ١٠٨].

وعن الأبصار يقول الحق تبارك وتعالى: «خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ» [القلم: ٤٣]، ومثلها في (المعارج: آية ٤٤)، وقال تعالى: «قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ» [النازعات: ٨، ٩]، وعن الوجوه قال تعالى: «هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ» [الغاشية: ١، ٢]، وعن بقية الجوارح ورد في الحديث الصحيح عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا ركع قال: «اللهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت، خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي» رواه مسلم.

وعن الجماد قال تعالى: «لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ» [الحشر: ٢١]، وقال تعالى: «وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً» [فصلت: ٣٩]. [القلب ووظائفه في الكتاب والسنة ص١٠٧].

وسواء كان المقصود من الخشوع حسيًا أو معنويًا، فالمقصود التذلل والسكون مع الله تبارك وتعالى، وعدم الفتور والتكاسل.

وفسره الألوسي رحمه الله بأنه: «الانقياد التام لأوامر الله ونواهيه، والعكوف على العمل بما فيها من الأحكام، من غير توان ولا فتور». [روح المعاني: ١٨٠/٢٧].

ويكملُ الخشوعُ بتصفية الوقت من مراءاة الخلق، وتجريد رُؤية الفضل؛ فيخفي أحواله عن الخلق جهده، كخشوعه وذله وانكساره، لئلا يراها الناس فيعجبه اطلاعُهُم عليها، ورؤيتهم لها، فيفسد عليه وقته وقلبه وحاله مع الله، وكم قد اقتُطعَ في هذه المفازة من سالك؟ والمعصوم من عصمه الله، فلا شيءٍ أنفع للصادق من التحقق بالمسكنة والفاقة والذل، وأنه لا شيء، وأنه ممن لم يصح له بعدُ الإسلام، حتى يدعي الشرف فيه، قال ابن القيم رحمه الله: ولقد شاهدتُ من شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - من ذلك، أمرًا لم أشاهده من غيره، وكان يقول كثيرًا: ما لي شيء، ولا مني شيءٌ، ولا فيَّ شيء.

وأما تجريد رؤية الفضل: فهو أن لا يرى الفضل والإحسان إلا من الله، فهو المانُّ به بلا سبب من العبد، ولا وسيلة سبقت منه توسل بها إلى إحسانه، بل إن جميع ما وصله من خير فمن منة الله عليه، وبفضله عليه من غير استحقاق منه، ولا بذل عوض استوجب به ذلك، كما قال تعالى: «يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ» [الحجرات: ١٧].

مكانة الخشوع:

أول ما تفقد هذه الأمة الخشوع، فقد ورد في حديث حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أول ما تفقدون من دينكم الخشوع، وآخر ما تفقدون من دينكم الصلاة» رواه الحاكم في المستدرك وقال: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي].

فالخشوع أول ما يُرفَع من القلوب، تتلوه أعمال الجوارح، كعقد انفرط فتتابع نظمه، فبذهاب الخشوع تكون العبادة بغير روح.

وبذهاب الخشوع يذهب العلم، وفي الأثر عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «إن شئت لأحدثنك بأول علم يُرفَع من الناس؟ الخشوع، يوشك أن تدخل مسجد جماعة فلا ترى فيه رجلًا خاشعًا». رواه الترمذي وصححه الترمذي.

الخشوع في الصلاة:

قال تعالى: (قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ) [المؤمنون: ١- ٢]، فلما ذكر بقية صفاتهم ذكر جزاءهم، فقال: (أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ) [المؤمنون: ١٠- ١١].

قال الحسن البصري رحمه الله: وقوله تعالى: «الَّذينَ هُمْ في صَلاتهِمْ خَاشعُونَ» قال: كان خشوعهم في قلوبهم، فغضوا لذلك أبصارهم وخفضوا لذلك الجناح. [تفسير ابن كثير ٣٨/٣].

قال ابن القيم: علق الله فلاح المصلين بالخشوع في صلاتهم، فدل على أن من لم يخشع فليس من

أهل الفلاح.

وعن عثمان رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: ((مَا مِنِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ يُؤْتِ كَبِيرَةً وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ)) رواه مسلم في صحيحه.

وكان هذا حال رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما يكون في الصلاة، فعن مطرف عن أبيه قال: (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل.. يعني يبكي)، رواه أبو داود والنسائي وصححه الألباني.

قال ابن القيم في الوابل الصيب: (صلاة بلا خشوع ولا حضور كبدن ميت بلا روح فيه، أفلا يستحي العبد أن يهدي إلى مخلوق مثله عبدًا ميتًا، أو جارية ميتة؟ فما ظن هذا العبد أن تقع تلك الهدية ممن قصده بها من ملك أو أمير أو غيره، فهكذا سواء الصلاة الخالية عن الخشوع والحضور، وجمع الهمة على الله تعالى فيها بمنزلة هذا العبد أو الأمة الميت الذي يريد إهداءه إلى بعض الملوك، ولهذا لا يقبلها الله تعالى منه وإن أسقطت الفرض في أحكام الدنيا، ولا يثيبه عليها؛ فإنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها).

قال بعضهم: إن الرجلين ليكونان في الصلاة، وإن ما بينهما كما بين السماء والأرض.

وعن عمار بن ياسر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (وإن الرجل لينصرف وما كُتِبَ له إلا عشر صلاته، تسعها، ثمنها، سبعها، سدسها، خمسها، ربعها، ثلثها، نصفها) [أبو داود وحسنه الألباني].

والخشوع في الصلاة إنما يحصل لمن فرغ قلبه لها، واشتغل بها عما عداها، وآثرها على غيرها، وحينئذ تكون له قرة عين، عن أنس رضي الله عنه: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «حبب إليَّ من الدنيا النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة»، رواه النسائي، بل إنه عليه الصلاة والسلام كان إذا حزبه أمر صلى، وكان يقول: «قم يا بلال فأرحنا بالصلاة». رواه أبو داود.

قال النووي في التبيان: وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنه صلى بالجماعة الصبح فقرأ سورة يوسف، فبكى حتى سالت دموعه على ترقوته، وفي رواية: أنه كان في صلاة العشاء، وهذا يدل على تكرره منه، وفي رواية: فبكى حتى سمعوا بكاءه من وراء الصفوف.

الأمور التي تعين على الخشوع في الصلاة:

أولًا: أن يستحضر المسلم عظمة الباري سبحانه وتعالى، وأنه واقف بين يدي جبار السموات والأرض، قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [غافر: ٦٧].

ثانيًا: أن ينظر المسلم إلى موضع السجود ولا يلتفت في صلاته، فعن أبي ذر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يزال الله مقبلًا على العبد في صلاته ما لم يلتفت، فإذا صرف وجهه انصرف عنه». رواه أحمد وحسنه الألباني.

ثالثًا: تدبر القرآن الكريم والأذكار والتي يقولها في الصلاة، قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]، فإذا تدبر المسلم أذكار الركوع والسجود وغيرها من الأذكار كان ذلك أوعى للقلب وأقرب للخشوع.

رابعًا: أن يصلي صلاة مودع؛ كأنه سيموت بعد الصلاة، فقد أخرج أحمد في مسنده عن أبي أيوب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا قمت في صلاتك فصل صلاة مودع» وصححه الألباني.

خامسًا: أن يهيئ المصلي نفسه فلا يصلي وهو حاقن ولا بحضرة طعام، قال صلى الله عليه وسلم: «لا صلاة بحضرة الطعام، ولا وهو يدافعه الأخبثان». رواه مسلم.

سادسًا: مجاهدة النفس في الخشوع، فالخشوع ليس بالأمر السهل، فلا بد من الصبر والمجاهدة قال تعالى: «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ» [العنكبوت: ٦٩]، ومع الاستمرار والمجاهدة يسهل الخشوع في الصلاة بحول الله وفضله.

سابعًا: استحضار الثواب المترتب على الخشوع، فعن عثمان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من امرئ مسلم تحضره صلاة مكتوبة، فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها، إلا كانت كفارة لما قبله من الذنوب، ما لم يؤت كبيرة، وذلك الدهر كله». رواه مسلم. نسأل الله أن يجعلنا من الخاشعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

لا إله إلا الله كلمة التوحيد ثمرات وبركات

■■ الحمد لله الذي أحيا نفوس الموحدين، وملأ كؤوس الذاكرين من أقداح لا إله إلا الله، وفتح أبواب الخيرات على أرباب المجاهدات بمفتاح لا إله إلا الله، وأبدع المصنوعات وأوجد المخلوقات ووسمها بميسم لا إله إلا الله، خلق الجنين من ماء مهين ليعبده بلا إله إلا الله، أرسل الرسل لأجلها مبشرين، وعن ضدها محذرين، فدعوا الناس كلهم إلى العمل بلا إله إلا الله. ■■



إعداد/ معاوية محمد هيكل

فهي رأس الملة والدين، وهي حبل الله المتين، فما خاب من تعلق بحبل لا إله إلا الله، غويت أحلامُ الجاهلين، وضلت أفئدة المعاندين؛ حيث جعلوا إلهين اثنين بعدما طلع بدر لا إله إلا الله.

أحمده سبحانه وأشكره إذ جعلنا من أهل لا إله إلا الله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة تنجي قائلها إذا خاب أهل الشرك، ونجا أهل لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذي جدد الله به ما دَرَسَ من معالم لا إله إلا الله، ومع ذلك قال له: «فاعلم أنه لا إله إلا الله»، فصدع بها ونادى ووالى عليها وعادى، وقال: «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق لا إله إلا الله»، فدعا إلى الله سرًا وجهارًا وليلًا ونهارًا، حتى انكشف الغطاء عن وجه لا إله إلا الله، اللهم صلِّ على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه الذين حَمَوْا بمرهفاتهم حوزة لا إله إلا الله، وسلم تسليمًا كثيرًا وبعد.

فيا إخوة الإسلام: اتقوا الله تعالى وجددوا إيمانكم في الصباح والمساء بتأمل معنى لا إله إلا الله.

فيا ذوي العقول الصحاح، ويا ذوي البصائر والفلاح، نادوا بالفلاح، فلا فلاح إلا لأهل لا إله إلا الله ، فكلمة الإسلام ومفتاح دار السلام لا إله إلا الله، فلا قامت السموات والأرض ولا صحت السنة والفرض ولا نجا أحد يوم العرض إلا بلا إله إلا الله.

ولا جُردت سيوف الجهاد، وأرسلت الرسل إلى العباد إلا ليعلموهم العمل بلا إله إلا الله، فانقسم الناس عند ذلك فريقين، وسلكوا طريقين؛ فريق انقاد للعمل بلا إله إلا الله، والآخر خاب لعلمه أن دين آبائه تبطله لا إله إلا الله ، فسبحان من فاوت بين عباده بمقتضى حكمته ومراده، وذلك من أدلة لا إله إلا الله، فطوبى لمن عَرَف معناها فارتضاها، وعمل باطنًا وظاهرًا بمقتضاها، فيكون قد حقق لا إله إلا الله، وويل لمن أصابه الشيطان بالأشراك فرماه في هوة الإشراك، فأبى واستكبر عن الانقياد لـ «لا إله إلا الله»، ألم تسمعوا قول الله: «وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ» حَقيقة أَن لا إله إلَا الله: الَذي هو إفراده بجميع العبادات، وتخصيصه بالقصد والإرادات، ونفيها عما سواه من جميع المعبودات التي نفتها لا إله إلا الله؛ ذلك هو الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله الذي لا يُبقي في القلب شيئًا لغير الله، ولا إرادة لما حرم الله، ولا كراهة لما به أمر الله. هذا والله هو حقيقة لا إله إلا الله.

وأما من قالها بلسانه ونقضها بفعَاله فلا ينفعه قول لا إله إلا الله، فمن صرف لغير الله شيئًا من العبادات وأشرك به أحدًا من المخلوقات فهو كافر ولو نطق ألف مرة بـ «لا إله إلا الله».

فيا ذوي الأسماع العتيدة؛ لا تظنوا أمور الشرك منكم بعيدة، فإن هاهنا مهاوٍ شديدة تقدح في «لا إله إلا الله» أين من وحّد الله بالحب والخوف والرجاء والعبادة؟ أين من خصه بالذل والخضوع والتعظيم والقصد، وأفرده بالتوكل فجعل عليه اعتماده؟ كل هذا من معاني لا إله إلا الله، فسارعوا عباد الله

إلى مغفرةٍ من ربكم وجنة عرضها كعرض السماوات والأرض أعدت للمتقين، الذين قاموا بواجبات لا إله إلا الله ، ولا تجعلوا مع الله إله آخر إني لكم منه نذيرٌ مبين.

وتمسكوا بعرى لا إله إلا الله، فمن نفى ما نفته، وأثبت ما أثبتته، ووالى عليها وعادى، رفعته إلى أعلى عليين منازلِ أهل لا إله إلا الله. [خطب الشيخ محمد بن عبد الوهاب بتصرف يسير].

فضائل لا إله إلا الله

إن كلمة لا إله إلا الله أمرها عظيم وخطبها جسيم، وشأنها جليل؛ لأنها كلمة على الله كريمة، ولها عند الله مكان وشأن، أعلاها مثمر، وأسفلها مغدق، ولا توجد في الوجود كله كلمة أشرف من لا إله إلا الله، ولا توجد في الدنيا ولا في الآخرة كلمة ثبت لها من الفضائل ما ثبت لـ «لا إله إلا الله» ، ففضائلها لا يمكن عدّها وحصرها؛ فلأجل لا إله إلا الله خُلقت الدنيا والآخرة والجنة والنار، ولأجلها قامت السموات والأرض وخُلقت الخلائق، قال تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ » [الذاريات: ٥٦] وقبول الأعمال متوقف على النطق بها، والعمل بمقتضاها، من قالها صادقًا أدخله الله بها الجنة، ومن قالها كاذبًا حقنت دمه، وأحرزت ماله، ولقي الله غدًا فحاسبه عليها.

إنها أفضل الذكر وأصدق الكلام، ومفتتح الخطب، إنها تاج الموحدين، ونور أفئدة المتقين، وحصن الأمان وسفينة النجاة، إنها كلمة الشهادة، ومفتاح دار السعادة ، عليها أسست الملة، ولأجلها نُصبت القبلة، وجُرّدت سيوف الجهاد، قال تعالى: «وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ » [الأنفال: ٣٩].

لأجلها نُصبت الموازين، ووُضعت الدواوين، وقام سوق الجنة والنار، وهي التي فرّقت الناس إلى مؤمنين وكفار، وميزتهم إلى السعداء أهل الجنة، والأشقياء أهل النار ، وبها تكون السعادة والشقاوة، بل لا وصول للسعادة في الدارين إلا بها، وبها النجاة من النار بعد الورود، وبعدم التزامها البقاء فيها والخلود، بها تُؤخذ الكتب باليمين أو الشمال، ويثقل الميزان أو يخف، وعنها يسأل الأولون والآخرون.

ولعظم معانيها تعددت أساميها، ومع أن فضائلها وموقعها من الدين فوق ما يصفه الواصفون ويعرفه العارفون إلا أننا سنحاول إن شاء الله في هذا المقال بيان ما تيسر من أساميها الشريفة وفضائلها المنيفة، كما جاءت في القرآن المجيد والسنة الشريفة وكلام السلف الصالح.



١- لا إله إلا الله ركن الإسلام الأعظم:

يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا» متفق عليه.

فالأعمال الخمسة تصديق بالله ووحدانيته، وأنه لا شريك له، وإيمان برسالة رسوله صلى الله عليه وسلم، ثم أفعال تصدق هذا الإيمان وتؤكد هذه الشهادة، وقد أجمعت الأمة على أن كلمتي الشهادة هي الركن الأول للإسلام وعليها تُبنَى الأعمال ولا يُقبل إسلام ولا يصح عمل بدونها، فلا إله إلا الله رأس الإسلام، وأساس بنائه، وعمود فسطاطه، وبقية الأركان والفرائض متشعبة منها، مكملات لها، مفيدة بالتزام معناها، والعمل بمقتضاها.

٢- الحد الفاصل بين الإسلام والكفر:

فلا إله إلا الله علمٌ على الإيمان، وهي الكلمة الوحيدة التي تخرج قائلها من معسكر الشرك والكفران إلى معسكر التوحيد والإخلاص والإيمان، وعليها يكون الولاء والبراء، وفيها يكون الحب والعداء، قال الله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ » [سورة التوبة: ٢٣] ولأجلها وبها يفرّق بين القريب وقريبه، قال الله تعالى: «لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ...» [المجادلة: ٢٢].

وليس المراد قولها باللسان مع الجهل بمعناها، فإن المنافقين يقولونها وهم تحت الكفار في النار، مع كونهم يصلون ويصومون ويتصدقون، ولكن المراد معرفتها بالقلب، ومحبتها، ومحبة أهلها، وبغض من خالفها ومعاداته.

٣- عاصمة الدم والمال:

فلا تُعصم الدماء والأموال إلا بحقها، وإيمان الكافر موقوف على النطق بها، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:



«أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوا لا إله إلا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها» صحيح مسلم.

وقال صلى الله عليه وسلم: «من قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعبَد من دون الله، حرم الله ماله ودمه وحسابه على الله» صحيح مسلم.

قال العلماء: إذا قال الكافر: لا إله إلا الله فقد شرع في العاصم لدمه، فيجب الكف عنه، فإن تمم ذلك تحققت العصمة وإلا بطلت، ويكون النبي صلى الله عليه وسلم قد قال كل حديث في وقت، فقال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، ليعلم المسلمون أن الكافر المحارب إذا قالها كُفَّ عنه، وصار دمه وماله معصومين، يشهد لذلك حديث أسامة بن زيد قال: بعثنا النبي صلى الله عليه وسلم في سرية فصبّحنا الحرقات من جهينة، فأدركت رجلاً فقال: لا إله إلا الله فطعنته فوقع في نفسي من ذلك (يعني وقع شك؛ لأن الرجل استجار بكلمة لا إله إلا الله، ومع ذلك طعنه فقتله)، فذكرته للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أقال لا إله إلا الله وقتلته؟ قال: قلت: يا رسول الله، إنما قالها خوفًا من السلاح. قال: أفلا شققت عن صدره حتى تعلم أقالها أم لا؟ فما زال يكررها عليَّ حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ». رواه مسلم.

ثم إنه صلى الله عليه وسلم بيّن في الحديث الآخر أن القتال ممدود إلى غاية، إلى الشهادتين والعبادتين، ففي الروايات الأخرى يقول: «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله. زاد فيها: ويقيموا

قال النووي رحمه الله: ولا بد مع هذا من الإيمان بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، كما جاء في الرواية الأخرى: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله، ويؤمنوا بي وبما جئت به». هذه صيغة عموم.

قال الشيخ رشيد رضا: «التحقيق أن المراد بالحديثين واحد، وهو الدخول في الإسلام، ومفتاح الدخول في الإسلام من المشركين النطق بكلمة التوحيد، فهو يعصم صاحبه في المعركة؛ وأما الكفار القائلون لا إله إلا الله فلا بد من نطق أحدهم برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وذكر الصلاة والزكاة في الحديث الآخر يراد به قبول شرائع الإسلام، وركنها الديني المحض الأعظم الصلاة، وركنها المالي الزكاة. فمن دان بهما دان بغيرهما».

٤- أعظم نعمة على المهديين إليها:

ففي سورة «النحل» [سورة النعم] عند ذكر النعم بدأ بأعظم نعمة على الخلق « يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ» [النحل: ٢]. فقدم ذكرها قبل كل نعمة، فدل ذلك على أن التوفيق لهذه الكلمة هو أعظم نعم الله تعالى التي أسبغها على عباده، كما قال الله تعالى: «وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً» [لقمان: ٢٠]. قال مجاهد: «هي لا إله إلا الله»، وقال سفيان بن عيينة: ما أنعم الله على عبد من العباد نعمة أعظم من أن عرّفه لا إله إلا الله.

فالقرآن كله في حق لا إله إلا الله. لذلك قال الله تعالى: «قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ»، فهي الوحي كله.

٥- كلمة الشهادة: قال تعالى: « شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ » [آل عمران: ١٨].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أكثروا من شهادة ألا إله إلا الله قبل أن يُحال بينكم وبينها،

الآية «إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا» [مريم: ٨٧]، ثم قال: اتخذوا عند الله عهدًا، فإن الله تعالى يقول يوم القيامة: من كان له عند الله عهد فليقم، قالوا: يا أبا عبد الرحمن فعلمنا، «يعني ما الذي تقصده»، قال قولوا: اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة، فإني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا أنك إن تكلني إلى عملي يقربني من الشر، ويباعدني من الخير، وإني لا أثق إلا برحمتك فاجعل لي عندك عهدًا تؤديه إلى يوم القيامة، إنك لا تخلف الميعاد»، بمعنى أنك تتبرأ من الحول والقوة ولا تتكل على عملك، بل تضع كل ثقتك في رحمة الله عز وجل بك. وكان ابن مسعود يلحق بهن «خائفًا مستجيرًا مستغفرًا راهبًا راغبًا إليك» ، يعني هذا حالي وأنا أعاهدك على هذا العهد.

٧- كلمة الصدق، قال الله تعالى: «وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ» [الزمر: ٣٣]، وهي كلمة الصدق؛ لأنها الكلمة التي يُصدَّق قائلها، إذا قالها العبد يصدقه الرب، كما جاء في الحديث الذي رواه النسائي والترمذي وابن حبان من حديث أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا قال العبد: لا إله إلا الله، والله أكبر، صدقه ربه وقال: لا إله إلا أنا وحدي، وأنا أكبر، وإذا قال العبد: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، قال الله: لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي، وإذا قال العبد: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، قال الله: لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي، لي الملك ولي الحمد، وإذا قال: لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال الله: لا إله إلا أنا وحدي ولا حول ولا قوة إلا بي»، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول: من قالها في مرضه ثم مات لم تطعمه النار. وفي رواية: «من رزقهن عند موته لم تمسه النار» [صحيح ابن ماجه ح٣٠٧٦]. وهذا

٨- مقاليد السماوات والأرض:

قال ابن عباس رضي الله عنها: مقاليد السماوات والأرض: هو قول لا إله إلا الله، والمقاليد المفاتيح بها تفتح أبواب السماء عند الدعاء، وأبواب الجنان لا تفتح إلا بها، وأبواب النيران لا تغلق إلا بها، وباب القلب لا يفتح إلا بها، وأنواع الوساوس لا تندفع إلا بها، فالمقاليد المفاتيح.

٩- كلمة التقوى: وهي التي ألزمها أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: «إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ



التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا» [الفتح: ٢٦].

روى أبو إسحاق السبيعي عن عمرو بن ميمون قال: ما تكلم الناس بشيء أفضل من لا إله إلا الله، فقال سعد بن عياض: أتدري ما هي يا أبا عبد الله، هي والله كلمة التقوى ألزمها الله أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكانوا أحق بها وأهلها رضي الله عنهم أجمعين.

فلا إله إلا الله هي كلمة التقوى، لأن صاحبها يتقي أن يصف ربه بما وصفه به المشركون، وأيضًا هي واقية لبدنك من السيف، ولمالك من الاستغنام، ولذمتك من الجزية، ولأولادك من السبي، فإذا انضاف القلب إلى اللسان صارت واقية لقلبك عن الكفر، وإذا انضم التوفيق صارت واقية لك من المعاصي.

١٠- الكلمة الباقية: (وهي التي جعلها إبراهيم في عقبه) كما قال تعالى: «وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» [الزخرف: ٢٦].

ومعنى الكلمة الباقية: أن التوحيد باق لا يزول بالمعصية؛ لأن المعصية تنقص الإيمان فهي تقدح في كمال الإيمان، ولكنها لا تحبط أصله، فالمعصية تزول بفضل الله بسبب التوحيد ولا يزول التوحيد بها، فما أعظمها من كلمة.

١١- وهي المثل الأعلى: قال الله تعالى: «وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» [الروم: ٢٧] يعني: الوصف الكامل، فأعظم وصف وُصف الله به هو لا إله إلا الله، والذي يدل على ذلك أنها جاءت في صدر أعظم آية وهي آية الكرسي: «اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۖ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ» [البقرة: ٢٥٥]، قال قتادة: «المثل الأعلى» هو قول لا إله إلا الله.

فاللهم أحينا عليها، وأمتنا عليها، واحشرنا عليها، ولا تحرمنا من البركات المكنوزة لديها، إنك يا مولانا جواد كريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تحذير النبي صلى الله عليه وسلم للقضاة

إعداد/ متولي البراجيلي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد،

فقد أقام الله سبحانه السموات والأرض على العدل وألزم الحكام إذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل، ولذا كانت مهمة القضاة من أخطر المهام ومن أشدها، ولذلك كان السلف الصالح يفرون منها ويتركونها لغيرهم؛ خشية من عاقبتها ومغبتها عند الله عز وجل.

أخرج أبو داود بسنده عن ابن بريدة، عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ: وَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ، وَاثْنَانِ فِي النَّارِ، فَأَمَّا الَّذِي فِي الْجَنَّةِ فَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَقَضَى بِهِ، وَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَجَارَ فِي الْحُكْمِ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ قَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ». (ح٣٥٧٣).

هذا الحديث له روايات متعددة فيها تقديم وتأخير وتغيير في بعض الألفاظ، لكنها تؤدي إلى معان واحدة.

«القضاة ثلاثة»: أي ثلاثة أنواع:

«فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضى به». جاء بأداة التفصيل «فأما» بعد الذي في الجنة، ولم يأت بها بعد الذي في النار؛ لئلا يُسلكا في سلك واحد «يعني يأتيان في سياق واحد» لبعد ما بينهما.

«ورجل عرف الحق فجار في الحكم»: والتقدير فأما الذي في النار، وذلك كما في قوله تعالى: «فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا» [آل عمران: ٧]، أي فأما الراسخون فيقولون - وهو من فصيح الكلام وبليغه.

ومع أن معرفة الحق سبب للقضاء بالحق، إلا أن هذا النوع من القضاة، عكس وجعله سببًا للجور، كقوله تعالى: «وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ» [الواقعة: ٨٢]. أي تجعلون شكر رزقكم التكذيب، وهو موجب للتصديق.

«فهو في النار»: خبرٌ لـ «ورجل».

«ورجل قضى للناس على جهل»: أي جاهلًا. وهذا استحق النار؛ لأنه تجرأ على هذا العمل العظيم (القضاء) بلا علم، لا

لسبب جوره في الحكم. (مرقاة المفاتيح للقاري ٦/٢٤٢٦- ٢٤٢٧، سبل السلام للصنعاني ٢/٥٦٥، بتصرف].

فبين الحديث أنه لا بد من توفر شرطين في القاضي: الشرط الأول: العلم، في قوله صلى الله عليه وسلم: «رجل عرف الحق».

الشرط الثاني: العمل بهذا العلم، في قوله صلى الله عليه وسلم: «فقضى به».

فهذا جمع بين القوة والأمانة، القوة في علمه، والأمانة في العمل بما علم، وهذا قليل في الناس، فهو إما قوي عنده علم، لكنه لا يعمل به، فهو غير أمين، أو ليس عنده علم وإن كان أمينًا.

لذا كان عمر رضي الله عنه يقول: «اللهم أشكو إليك جَلَد الفاجر وعجز الثقة»!!

وأما القاضيان اللذان في النار، فالأول حقق الشرط الأول وهو العلم، ولم يحقق الشرط الثاني وهو القضاء به، والثاني لم يحقق الشرط الأول، وانتفى عنه الشرط الثاني من غير قصد منه؛ وذلك لجهله.

فالحديث دليل على أنه لا ينجو من النار من القضاة إلا من عرف الحق وعمل به، والعمدة العمل، فإن من عرف الحق ولم يعمل به، فهو كمن حكم بجهل سواء في النار.

من آداب القاضي:

قال علي رضي الله عنه: لا ينبغي للقاضي أن يكون قاضيًا حتى تجتمع فيه خمس خصال: عفيف، حليم، عالم بما كان قبله، مستشير لذوي الألباب، لا يخاف في الله لومة لائم.

وروى الشعبي عن مسروق، قال: لأن أقضي يومًا واحدًا بحق وعدل أحبُّ إليَّ من أن أغزو سنة في سبيل الله.

من شروط القاضي:

لا يجوز لغير المجتهد أن يتقلد القضاء، والمجتهد من جمع خمسة علوم: علم كتاب الله، وعلم سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقوال السلف وإجماعهم واختلافهم، وعلم اللغة، وعلم أصول الفقه.

ويشترط الفقهاء لصحة تولية القاضي شروطًا معينة؛ أن يكون مسلمًا عاقلًا، بالغًا، حرًا، عدلًا، فطنًا ذكيًا، سليم الحواس.

ويشترط الجمهور الذكورة لتولية القضاء وذلك لحديث أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لن يفلح قومٌ ولّوا أمرهم امرأة». [البخاري].

ولأن القاضي يحضر محافل الخصوم والجدل، ويحتاج فيه إلى كمال الرأي ومشاورة العلماء، والنساء لسن أهلًا لذلك، وقد نبّه الله تعالى إلى نسيانهم بقوله: «أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ» [البقرة: ٢٨٢].

وجوّز أبو حنيفة توليها قضاء الأموال، ويرى الطبري جواز تقلد المرأة للقضاء مطلقًا. [انظر الموسوعة الفقهية ٣٣/٢٩١-٢٩٤].

قال محمد بن حريث: بلغني أن نصر بن علي أرادوه على القضاء بالبصرة، واجتمع الناس إليه فكان لا يجيبهم، فلما ألحوا عليه دخل بيته ونام على ظهره، وألقى ملاءته على وجهه، وقال: اللهم إن كنت تعلم أني لهذا كاره فاقبضني إليك. فقبض.[التذكرة الحمدونية .(ج١/ص٣٣٦)]

وقال منصور بن المعتمر لابن هبيرة حين أراده على القضاء: ما كنت لألي بعدما حدثني إبراهيم. قال: وما حدثك؟ قال: حدثني عن علقمة عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الظلمة وأعوان الظلمة وأشباه الظلمة حتى من يرى لهم قلماً أو لاق لهم دواة، فيجتمعون في تابوت حديد ثم يلقى بهم في جهنم.[التذكرة الحمدونية .(ج١/ص٣٣٨)]

أهمية وظيفة القضاء:

ولي الأمر والقاضي منوط بهما إقامة العدل في الأرض؛ لإيصال الحقوق إلى أهلها، ورد المظالم، ويستوي أمام العدالة الكبيرُ والصغيرُ، والحاكم والمحكوم.

قال الله تعالى: « يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ» [ص: ٢٦].

ورضي الله عن أبي بكر عندما تولى الخلافة فقال: «إن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه، وإن أضعفكم عندي القوي حتى آخذ منه الحق».

حكم تولي القضاء:

تولي القضاء تعتريه الأحكام الخمسة:

فيكون واجبًا: إن كان من يتولاه أهلًا للقضاء دون غيره؛ لانفراده بشروطه، فحينئذ يُفترض عليه التقلد؛ صيانةً لحقوق العباد وإخلاءً للعالم عن الفساد، ولأن القضاء فرض كفاية، ولا يوجد سواه يقدر على القيام به، فتعيّن عليه، كغسل الميت وتكفينه، وسائر فروض الكفايات.

ويكون مندوباً (مستحبًا): لصاحب علم خفي

لا يعرفه الناس، ووُجدت فيه شروط القاضي، وذلك ليُشهر علمه للناس فيُنتفع به.

- ويكون حرامًا: لفاقد أهلية القضاء، ولأن من لا يحسنه لا يقدر على العدل فيه، فيأخذ الحق من مستحقه فيدفعه إلى غيره.

- ويكون مكروهًا: لمن يخاف العجز عنه، ولا يأمن على نفسه الحَيْف فيه، ولم يتعين عليه توليه.

وكره بعضهم الدخول فيه مختارًا للأحاديث التي وردت للتحذير منه.

- ويكون مباحًا: للعدل المجتهد الصالح للقضاء الذي يثق بنفسه أن يؤدي فرضه، ولا يتعين عليه لوجود غيره مثله. [الموسوعة الفقهية بتصرف ١٤/١٩١].

التحذير من تولي القضاء:

لقد كان فضلاء العلماء يحذرون من القضاء، ويفرون منه فرارًا، ولا يتولاه أحدٌ منهم إلا مضطرًا إذا تعيَّن عليه.

وذلك للأحاديث التي وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم للتحذير منه، كحديث بريدة الذي بين أيدينا، وغيره من الأحاديث، كحديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من جُعل قاضيًا بين الناس فقد ذُبح بغير سكين». [صحيح سنن الترمذي وغيره].

قال المظهر: خطر القضاة كثير وضرره عظيم؛ لأنه قلما عدل القاضي بين الخصمين، لأن النفس مائلة إلى من يحبه أو يخدمه أو من له منصب يتوقى جاهه أو يخاف سلطانه، وربما يميل إلى قبول الرشوة وهو الداء العضال. [مرقاة المفاتيح ٦/٢٤٢٦].

التعلل بأن المجتهد مأجور على كل حال:

وذلك لحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر واحد». [متفق عليه].

والمجتهد المخطئ في الحديث، هو من استكمل شروط الاجتهاد وتحرَّى المسألة باذلًا فيها وسعه، ثم حكم بما غلب على ظنه.

قال ابن المنذر: وإنما يؤجر الحاكم إذا أخطأ إذا كان عالمًا بالاجتهاد فاجتهد، وأما إذا لم يكن عالمًا فلا، واستدل بحديث القضاة ثلاثة.

ويقول الحافظ ابن حجر: ويؤيد حديث الباب «حديث عبد الله بن عمرو» ما وقع في قصة سليمان في حكم داود عليه السلام في أصحاب الحرث. [فتح الباري ١٣/٣١٩].

فلا شك أن الحق واحد بدليل قوله تعالى: «فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ»، ولم يذم الله تعالى حكم داود عليه السلام، «وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا»؛ لأنه مستوف لأدوات الاجتهاد، فهو نبي، وبذل وسعه في الحكم، وحكم بما غلب على ظنه.

فوائد الحديث:

١- في الحديث إنذار عظيم للقضاة التاركين للعدل.

٢- وفيه تحذير شديد للجاهل عن الدخول في منصب القضاء.

٣- وفيه استوعاء عقوبة الجاهل المتقحِّم لما لا يحسنه، والعالم الجائر الحائد عن الحق والعدل.

٤- وفيه أنه لا يُعذر بالجهل في كل الأمور.

٥- وفيه أن العلم قد يكون وبالًا على صاحبه إن لم يصاحبه عمل.

٦- وفيه أن النيات الحسنة وحدها ليست كافية للنجاة، في مثل القاضي الجاهل الذي لم يتسلح بعدَّة ما يتولاه.

٧- وفي الحديث عظم أجر القاضي الذي علم بما يحكم فيه، ثم عدل في الحكم فمآله الجنة.

٨- وفيه توجيه لولي الأمر أن يُحسن اختيار القضاة.

٩- وفي الحديث ضرورة مراقبة أعمال القضاة وأحكامهم، فلا عصمة لأحد إلا الأنبياء عليهم السلام، وكل ابن آدم خطاء، فدعوى أنه لا رقابة ولا سلطة على القاضي، دعوى خاطئة، مغبتها وعواقبها عظيمة، كذلك قولهم: لا تعليق على أحكام القضاء، وأن القضاء خطر أحمر، كلها تعبيرات عصرية لا أصل لها وما أنزل الله بها من سلطان، بل هي مصادمة لطبيعة البشر في أن كل ابن آدم خطاء، وكل يؤخذ من قوله ويُرد، إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

١٠- وفي الحديث قيام النبي صلى الله عليه وسلم بواجب النصح لأمته على العموم، وللقضاة على الخصوص.

١١- وفيه الجمع بين الوعد والوعيد، وهو الأسلوب القرآني المؤثر في النفس البشرية.

١٢- وأخيرًا: ففي الحديث أن الشرع شامل ومستوعب لكل دقائق الحياة وتفاصيلها.

والحمد لله رب العالمين.

وقفات شرعية مع تطبيق الشريعة الإسلامية

الشبهات المثارة على حد الرجم

الحلقة الثانية عشرة

إعداد/ المستشار/ أحمد السيد علي

الحمد لله حمدًا لا ينفد، أفضل ما ينبغي أن يُعبَد، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تعبد، أما بعد: فما يزال الحديث موصولاً عن وقفات شرعية مع تطبيق الشريعة الإسلامية، وما يزال الرد على الشبهات المثارة حول حد الرجم.

وهذه شبهة أخرى من شبهاتهم وقد منَّ الله علينا وفنَّدنا كثيرًا منها في الحلقات السابقة، وظهر جليًا أنها أوهى من بيت العنكبوت، وأنها لم تصمد أمام الصحيح الصريح من المنقول (من الكتاب والسنة) أو المعقول.

الشبهة الحادية والعشرون:

وهناك سؤال آخر.. إذا لم يكن تشريع الإسلام مصدر حد الرجم فمن أين جاء؟ هنا ننقل عن البخاري من باب المناقب حديث رقم ٣٥٦٠ يقول: «حدثنا نعيم بن حماد حدثنا هشيم عن حصين عن عمرو بن ميمون قال: رأيت في الجاهلية قِرْدة اجتمع عليها قِرَدة قد زنت فرجموها فرجمتها معهم»، أي أن مجتمع القرود في الجاهلية كانت له الأسبقية في تطبيق حد الرجم!!

فعندما تقابلون ربكم ويسألكم لماذا رجمتم الزناة ولم تطبقوا عليهم حد الجلد، فقولوا له: أخذنا ذلك من القرود.

الرد على هذه الشبهة:

ويُرد عليها من عدة أوجه:

الوجه الأول: ما ذكره الشيخ أبو عبد العزيز سعود الزمانان في رده على الشبهة المثارة حول رواية «قردة في الجاهلية زنت فرجمت» من موقع صيد الفوائد، حيث قال حفظه الله:

نص الأثر:

روى الإمامُ البخاري في «صحيحه» (٣٨٤٩)، كتاب مناقب الأنصار، باب القسامة في الجاهلية حَدَّثَنَا نُعَيْمُ بْنُ حَمَّاد، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، عَنْ حُصَيْنٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ قَالَ: «رَأَيْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قِرْدَةً اجْتَمَعَ عَلَيْهَا قِرَدَةٌ، قَدْ زَنَتْ، فَرَجَمُوهَا، فَرَجَمْتُهَا مَعَهُمْ.

الرد:

أولاً: هذا الحديثُ ليس على شرطِ الإمام البخاري، فصحيحُ البخاري سماهُ: «الجامعُ المختصرُ المسندُ الصحيحُ من أمورِ رسولِ الله - صلى اللهُ عليه وسلم - وسننِه وأيامِه»، فالخَبرُ ليس مسنداً للرسولِ فهو ليس على شرطِ البخاري - رحمهُ اللهُ -. فالأحاديث الموقوفةُ، وهي الأحاديثُ التي تُروَى عن الصحابةِ، ولا يتمُ رفعُها للنبي - صلى اللهُ عليه وسلم -، والتي يسميها بعضُ أهلِ العلم « الآثار » هي ليست كذلك على شرطِ البخاريَ - رحمه الله -.

فعمرو بنُ ميمونٍ كما قال الإمامُ القرطبي - رحمه الله - يعدُ من كبارِ التابعين من الكوفيين [تفسيرُ القرطبي (٤٤٢/١) تفسير سورة البقرة الآية ٦٥].

ثانياً: البخاري - رحمهُ اللهُ - لما ذكر هذا الأثرَ الذي ليس على شرطه، إنما أراد الإشارةَ إلى فائدة، والتأكيدِ على أن عمرو بنَ ميمونٍ قد أدركَ الجاهليةَ، ولم يبالِ البخاري بظنِ عمرو الذي ظنهُ في الجاهليةِ، بأن القردةَ قد زنت

فرجموها بسبب الرجم.

ثالثا: الخبرُ استنكرهُ الإمامُ ابنُ عبد البر - رحمهُ اللهُ - قال الحافظ ابنُ حجر - رحمهُ اللهُ -: « وَقَدْ اسْتَنْكَرَ ابْن عَبْد الْبَرّ قِصَّةَ عَمْرو بْن مَيْمُون هَذِه وَقَالَ: « فِيهَا إِضَافَة الزِّنَا إِلَى غَيْر مُكَلَّف، وَإِقَامَة الْحَدّ عَلَى الْبَهَائِم وَهَذَا مُنْكَر عِنْد أَهْل الْعِلْم». [فتح الباري لابن حجر ١٩٧/٧، الطبعة السلفية].

رابعا: استنكر الخبرَ الإمامُ الألباني - رحمه الله - فقال: « هذا أثرٌ منكرٌ، إذ كيف يمكنُ لإنسانٍ أن يعلمَ أن القردةَ تتزوجُ، وأن من خُلقهم المحافظةَ على العرض، فمن خان قتلوهُ؟! ثم هب أن ذلك أمرٌ واقعٌ بينها، فمن أين علم عمرو بنُ ميمون أن رجمَ القردةِ إنما كان لأنها زنت». [مختصر صحيح البخاري للألباني (٥٣٥/٢)].

خامسا: قال الشيخُ الألباني - رحمهُ اللهُ -: « وأنا أظنُ أنِ الآفةَ من شيخ المصنف نعيم بنِ حماد، فإنهُ ضعيف متهمٌ، أو من عَنعنة هُشَيم، فإنهُ كان مدلساً». [مختصر صحيح البخاري للألباني (٥٣٥/٢)].

سادسا: وممن ذهب إلى تضعيف الأثرِ محققُ « سير أعلام النبلاء « (١٥٩/٤) فقد قال في الحاشية: « ونعيمُ بنُ حمادٍ كثيرُ الخطإ، وهُشيمُ مدلسٌ وقد عنعن».

سابعاً: فالخبرُ ضعيفٌ في سنده نُعيمُ بنُ حماد، من رجالِ معلقاتِ البخاري لا من أسانيده، روى عنهُ البخاري مقروناً بغيرهِ في الأحاديث أرقام (٣٩٣-٤٣٣٩-٧١٣٩)، ولم يقرنهُ بغيرهِ إلا في هذا الحديث المقطوع الذي ليس على شرطه - رحمهُ اللهُ - حديث رقم (٣٨٤٩). ونعيمُ بنُ حمادٍ قال عنه الحافظ في « التقريب «: « صدوقٌ يخطئ كثيراً «، وقال النسائي: « ضعيف «، وذكرهُ ابنُ حبان في « الثقات « وقال: « ربما أخطأ ووهم «. [تهذيب الكمال (٤٧٦/٢٩)].

ثامناً: وكذلك الخبرُ ضعيفٌ لأن في سندهِ هُشيمَ بنَ بشير الواسطي، وهو كثيرُ التدليس، وجعلهُ الحافظُ في المرتبة الثالثة في طبقاته، وهم ممن لا يُحتجُ بحديثهم إلا بما صرحوا به السماعَ، قلتُ: ولم يصرح بالسماع في هذا الخبر.

تاسعا: مال الشيخ الألباني إلى تقوية هذا الأثر مختصراً دون وجود النكارةِ أن القردةَ قد زنت وأنها رُجمت بسببِ الزنا فقال - رحمه الله -: « لكن ذكر ابنُ عبد البر في « الاستيعاب « (١٢٠٥/٣) أنهُ رواهُ عبادُ بنُ العوام أيضاً، عن حصين، كما رواه هشيم مختصراً.

قلتُ: (القائلُ الألباني) وعبادُ هذا ثقةٌ من رجالِ الشيخين، وتابعهُ عيسى بنُ حطان، عن عمرو بنِ ميمون به مطولاً، أخرجهُ الإسماعيلي، وعيسى هذا وثقهُ العجلي وابنُ حبان، وروايته مفصلةٌ تبعد النكارةَ الظاهرةَ من روايةِ نعيم المختصرة، وقد مال الحافظُ إلى تقويتها خلافاً لابنِ عبدِ البر، والله أعلم «. [مختصر صحيح البخاري للألباني (٥٣٥/٢-٥٣٦)].

عاشرا: لو افترضنا صحةَ الخبرِ، فإن الراوي أخبر عما رأى في وقتِ جاهليته، فإنهُ لا حرج من القولِ بأن هذا ما ظنهُ لاسيما أنهُ في روايةٍ رأى قرداً وقردةً مع بعضهما فجاء قردٌ آخر، وأخذها منهُ فاجتمع عليها القردةُ الآخرون ورجموهما.

فهذه صورةُ الحكايةِ ظنها الراوي رجماً للزنى، وهو لم يأخذ هذا حكايةً عن النبي - صلى الله عليه وسلم -، وليست كذلك الراوي لها أحدُ أصحابِ النبي - صلى الله عليه وسلم - ولو أخبر بها النبي - صلى اللهُ عليه وسلم -، وصح السندُ عنه قبلناهُ، فإننا صدقناهُ فيما هو أعظمُ من ذلك.

الوجه الثاني: أن مصدر حد الرجم أخذناه من الكتاب والسنة، ولم نأخذه من القردة، فمن الكتاب قوله تعالى: (وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا) [النساء ١٥] وقد جعل الله لهن سبيلاً بتشريع حد الجلد والرجم؛ قال تعالى: (ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ) [النور: ٢]، ومن السنة ما رواه عُبَادَةَ بْن الصَّامت قَالَ: « قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْه وَسَلَّمَ: «خُذُوا عَنِّي خُذُوا عَنِّي قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبيلاً الْبكْرُ بالْبكْر جَلْدُ مائَة وَنَفْيُ سَنَة وَالثَّيِّبُ بالثَّيِّب جَلْدُ مائَة وَالرَّجْمُ» رواه مسلم. فقد أكدت السنة أن الرجم من السبيل الذي جعله الله حدًا لمن زنى وهو محصن. ومن ثم يتضح جهل هؤلاء المستهزئين بشرع الله.

الوجه الثالث: أن هؤلاء المدلسين أمرهم مفضوح، وليس لديهم منهج ثابت للبحث العلمي، وإنما يأخذون ما يوافق هواهم، ويدعون ما لا يوافقه، وليس أدل على ذلك من أنهم وصموا جميع الأحاديث التي جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم، وكذلك الآثار التي جاءت عن صحابته بتشريع حد الرجم، بالضعف والوضع، حتى ولو جاءت في البخاري ومسلم أصح الكتب بعد كتاب الله، ثم يحتجون الآن بحديث عمرو بن ميمون السابق في صحيح البخاري، فهم يكذبون البخاري ومسلم ولا يحتجون بما جاء بهما إذا كان ضد مذهبهم الفاسد، ويسارعون بالاحتجاج بما جاء بهما إذا كان سيدعم هذا المذهب، وهو ما يدل على فساد مذهبهم، وأن حجتهم داحضة.

اللهم انصر دينك وكتابك وعبادك الصالحين، وائذن لشريعتك أن تحكم ولكتابك أن يسود، وللحديث بقية، والحمد لله رب العالمين.

الرئيس مرسي يلتقي الرئيس العام ضمن وفد الدعاة والعلماء

كتب/ جمال سعد حاتم

استكمالاً ومتابعة للقاءات التي يعقدها الرئيس محمد مرسي مع القوى المجتمعية والسياسية، والتي تشمل كل أطياف المجتمع للخروج برؤى مشتركة لكل ما تمر به البلاد في الظروف الراهنة، التقى الرئيس بكوكبة من العلماء والدعاة، كان من بينهم الرئيس العام لجماعة أنصار السنة المحمدية.

وقد شرح الرئيس د. محمد مرسي للعلماء والدعاة المستجدات على الساحة الداخلية، وخصوصًا ما يتعلق بالأوضاع الاقتصادية، وقد طمأن الرئيس العلماء والمشايخ على أن الأوضاع الاقتصادية في تحسن، وتنتظر تحسنًا أكبر مع زيادة حالة الاستقرار الأمني، وازدياد الثقة في الاقتصاد المصري.

كما تحدث الرئيس عن الأوضاع الأمنية، مؤكدًا أنه قد طرأ تحسن كبير عليها في الآونة الأخيرة، وخاصة في سيناء، مقللاً من تهويلات وسائل الإعلام المغرضة.

طلب الرئيس مرسي من العلماء العمل على نشر الدعوة الصحيحة الدعوية في سيناء وفي أنحاء مصر ؛ عملاً على نشر المفاهيم الصحيحة والدعوة الوسطية بعيداً عن التشدد والعنف والأفكار المنحرفة.

كما استمع الرئيس محمد مرسي من المشايخ والعلماء إلى وجهات نظرهم حول كل ما تم طرحه ومناقشته، وإلى آرائهم حول ما طرح من مُسودة الدستور.

وقد حضر اللقاء علماء ودعاة من كافة التيارات، حيث ضم علماء من أنصار السنة، والجمعية الشرعية، والدعوة السلفية، والجماعة الإسلامية، والهيئة الشرعية، والإخوان المسلمين، وعلماء ومشايخ آخرين.

وقد حضر اللقاء مع فضيلة الرئيس العام الدكتور عبد الله شاكر، فضيلة الشيخ أبو إسحاق الحويني، والشيخ محمد حسان، والدكتور نصر فريد واصل، والدكتور محمد المختار محمد المهدي، والدكتور محمد عبد المقصود، والدكتور ياسر برهامي، والدكتور محمد يسري، والدكتور صفوت عبد الغني، والشيخ فوزي السعيد، والشيخ نشأت أحمد، والدكتور عصام دربالة، والدكتور سعيد عبد العظيم، والدكتور راغب السرجاني، والدكتور عبد الرحمن البر، والدكتور محمود حسين، والمهندس أيمن عبد الغني، والدكتور صفوت حجازي.

وقد أمَّ الرئيس مرسي العلماء والدعاة في صلاتي العصر والمغرب في اللقاء الذي جرى بينهما في قصر الاتحادية بمصر الجديدة.

وقد تم الاتفاق على استمرار التشاور والتناصح حرصًا على مصلحة مصر والأمة.

والله ولي التوفيق.

واحة التوحيد

من حكمة الشعر

قال يحيى بن معين في «تحري الحلال»:

المال يذهب حله وحرامه
يومًا وتبقى في غد آثامه
ليس التقي بمتقٍ لإلهه
حتى يطيب شرابه وطعامه

أدبيات

قال رجل لرجل: بأي وجه تلقاني، وقد فعلت كذا وكذا؟ قال: بالوجه الذي ألقى به ربي عز وجل، وذنوبي إليه أكثر من ذنوبي إليك.

[الأذكياء لابن الجوزي].

من نور كتاب الله عز وجل

الثقة واليقين برب العالمين

قال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [سورة الشعراء: ٧٨- ٨٢].

تواضع السلف

عن نافع: أن رجلاً قال لابن عمر: يا خير الناس، أو ابن خير الناس، فقال: ما أنا بخير الناس، ولا ابن خير الناس، ولكن عبد من عباد الله، أرجو الله وأخافه، والله لا تزالون بالرجل حتى تهلكوه.

[أبو نعيم في الحلية].

من الأمور التي أنكرها الصحابة

مر ابن عمر -رضي الله عنهما- برجل من أهل العراق ساقطًا والناس حوله، فقال ما هذا؟ فقالوا: إذا قرئ عليه القرآن أو سمع الله يُذْكر، خرَّ من خشية الله. قال ابن عمر: والله إنا لنخشى الله، ولا نسقط. [كتاب فضائل القرآن لأبي عبيد].

فضل شهر المحرم

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أفضل الصلاة بعد المكتوبة الصلاة في جوف الليل، وأفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم». [صحيح مسلم].

فضل صيام عاشوراء

عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صوم عاشوراء؟ فقال: «يكفر السنة الماضية» [صحيح مسلم].

إعداد/ علاء خضر

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

القناعة راحة القلوب

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ قَطُّ إِلَّا بُعِثَ بِجَنْبَتَيْهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ يُسْمِعَانِ أَهْلَ الأَرْضِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، هَلُمُّوا إِلَى رَبِّكُمْ، فَإِنَّ مَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهَى. [أخرجه أحمد وصححه الألباني في الصحيحة ١/ ٧٢٧].

من دلائل النبوة

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: بما أعرف أنك نبي؟ قال: «إن دعوت هذا العذق من هذه النخلة يشهد أني رسول الله، فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعل ينزل من النخلة حتى سقط إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: ارجع فعاد، فاسلم الأعرابي. [الترمذي وصححه الألباني].

من جوامع الدعاء

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا أخذ مضجعه: «الحمد لله الذي كفاني وأواني، وأطعمني وسقاني، والذي منَّ عليَّ فأفضل، والذي أعطاني فأجزل، الحمد لله على كل حال، اللهم رب كل شيء ومليكه وإله كل شيء أعوذ بك من النار» [أبو داود وصححه الألباني].

من فضائل الصحابة

عن عقبة بن الحارث قال: صلى أبو بكر العصر، ثم خرج يمشي، ومعه عليّ، فرأى الحسنَ يلعب مع الصبيان، فحمله على عاتقه، وقال: «بابي شبيه بالنبي، ليس شبيهًا بعليّ»، وعليّ يضحك. [صحيح البخاري].

من أمثال العرب

«لا يُدالِسُ ولا يؤانس»

يدالس: من الدَّلس، وهو الظلمة أي: لا يخادعك، ولا يخفي عنك الشيء، ومنه يُقال: «دلس عليَّ كذا». ويؤالس: من الألْسِ وهو الخيانة. [أدب الكاتب، لابن قتيبة].

حكم ومواعظ

قال الفضيل: «لا تخالط إلا حَسَن الخلق؛ فإنه لا ياتي إلا بخير، ولا تخالط سيء الخُلق؛ فإنه لا ياتي إلا بشر».

من أقوال السلف

عن أنس رضي الله عنه قال: إن العبد إذا عمل بالبدعة خلاه الشيطان والعبادة وألقى عليه الخشوع والبكاء. [كنز العمال].

كذب الرافضة في فضائل علي رضي الله عنه



إعداد / أسامة سليمان

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعدُ:

فإن الرافضة هم أكذب الناس، وصدق شيخ الإسلام فيمن يكذب عليه: إن الله خلق الكذب وجعل تسعة أعشاره في الرافضة، ومن مظاهر هذا الكذب افتراؤهم على خير الأنام صلى الله عليه وسلم بنسبة أحاديث مكذوبة إليه، متجاهلين تحذير رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ إذ يقول: «من كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار» رواه البخاري.

ومن هذه الأحاديث ما وضعوه في فضائل علي رضي الله عنه، ولاشتهار هذه الأحاديث على ألسنة كثير من أهل السنة، فسنذكر بعضَها مع حكم الشيخ العلامة الألباني رحمه الله عليها في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة عليها.

أولا: أحاديث ضعيفة وموضوعة في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه

١- إن الله أوحى إليّ في علي ثلاثة أشياء ليلة أسري بي، أنه سيد المؤمنين، وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين. (موضوع) السلسلة الضعيفة للألباني، رقم (٣٥٣).

٢- السُّبُقُ ثلاثة: فالسابق إلى موسى يوشع بن نون، والسابق إلى عيسى صاحب ياسين والسابق إلى محمد علي بن أبي طالب. (ضعيف جدا) السلسلة الضعيفة رقم ٣٥٨ وضعيف الجامع، رقم (٣٣٣٤).

٣- عليّ إمام البررة، وقاتل الفجرة، منصور من نصره ومخذول من خذله. (موضوع) السلسلة الضعيفة للألباني، رقم (٣٥٧) وضعيف الجامع (٣٧٧٩٩).

٤- لمبارزة علي بن أبي طالب لعمرو بن عبد ود يوم الخندق أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة، (كذب) السلسلة الضعيفة، برقم (٤٠٠).

٥- إن الله أمرني بحب أربعة وأخبرني أنه يحبهم، قيل: يا رسول الله من هم؟ (وفي رواية سمهم لنا) قال: علي منهم يقول ذلك ثلاثا، وأبو ذر وسلمان والمقداد، أمرني بحبهم وأخبرني أنه يحبهم، (ضعيف) السلسلة الضعيفة للألباني برقمي (١٥٤٩، ٣١٢٨)، وضعيف الجامع (١٥٦٦)، وضعيف سنن الترمذي (٧٧١)، وضعيف سنن ابن ماجة (٢٨)، المشكاة (٦٢٤٩).

٦- أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت بابه، (موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (٢٩٥٥).

٧- أنا عبد الله وأخو رسول الله وأنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كذاب، صليت قبل الناس لسبع سنين. (باطل) ضعيف سنن ابن ماجة، برقم (٢٣).

٨- عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ لن يفترقا حتى يردا على الحوض، (ضعيف) ضعيف الجامع برقم (٣٨٠٢).

٩- يا أنس: انطلق فادع لي سيد العرب - يعني عليًا- فقالت عائشة: ألست سيد العرب قال: أنا سيد ولد آدم وعلي سيد العرب، يا معشر الأنصار ألا أدلكم على ما إن تمسكتم به لم تضلوا بعده؟! قالوا: بلى يا رسول الله! قال: هذا عليّ فأحبوه بحبي وأكرموه لكرامتي، فإن جبريل أمرني بالذي قلت لكم عن الله عز وجل. (موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (٤٨٩٠).

١٠- أنت تبين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي (موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (٤٨٩١).

١١- لما أسري بي رأيت في ساق العرش مكتوب: لا إله إلا الله محمد رسول الله، صفوتي من خلقي أيدته بعلي ونصرته، (موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (٤٩٠٢).

١٢- من أراد أن ينظر إلى آدم في عمله، وإلى نوح في فهمه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى يحيى في زهده، وإلى موسى في بطشه فلينظر إلى عليّ، (موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (٤٩٠٣).

١٣- نزلت هذه الآية (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ) يوم غدير خم في علي، (موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (٤٩٢٢).

١٤- لما نصب رسول الله عليا بغدير خم، فنادى له بالولاية هبط جبريل بهذه الآية (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي)، (موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (٤٩٢٣).

١٥- هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فاسمعوا له وأطيعوا يعني: عليًا، (موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (٤٩٣٢).

١٦- أنشدكم الله: هل فيكم أحد آخى رسول الله بينه وبينه -إذ آخى بين المسلمين- غيري؟ قالوا: اللهم لا، (موضوع) السلسلة الضعيفة، برقم (٤٩٤٩).

١٧- لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا عليّ، (مكذوب) على عليّ. [منهاج السنة (٥/ ٧٠)].

١٨- حب علي حسنة لا تضر معها سيئة، وبغضه سيئة لا تنفع معها حسنة، (مكذوب) على عليّ. [منهاج السنة (٥/ ٧٣)].

١٩- أنا دار الحكمة وعليّ بابها. رواه الترمذي وأبو نعيم سكت عن قول الترمذي: هذا حديث غريب منكر.. ولا نعرف هذا الحديث عن واحد من الثقات عن شريك حديث، رقم (٣٧٢٣)، وقال ابن الجوزي: هذا حديث موضوع، مشكاة المصابيح (٣/ ١٧٧٧) وحكم ابن الجوزي بأنه مكذوب (الموضوعات ١/ ٣٤٩).

٢٠- أنت يا عليّ وشيعتك (أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ) فيه أبو الجارود: زياد بن المنذر الكوفي، قال عنه الحافظ ابن حجر: رافضي كذبه يحيى بن معين (التقريب ٢١٠١).

٢١- بخ بخ لك يا علي، أصبحت مولانا ومولى كل مؤمن ومؤمنة. فيه علي بن زيد بن جدعان، قال عنه الجوزجاني: واهي الحديث ضعيف. [الشجرة في أحوال الرجال، ص(١٩٤)].

قال ابن الجوزي في العلل المتناهية في الأحاديث الواهية (١/ ٢٢٦): هذا الحديث لا يجوز الاحتجاج به. ومن فوقه إلى أبي هريرة ضعفاء. وقال البزار: تكلم فيه جماعة من أهل العلم (كشف الأستار ٤٩٠) وقال الدارقطني: ليس بالقوي. سنن الدارقطني (١/ ١٠٣).

٢٢- عليّ أخي في الدنيا والآخرة. ضعيف (انظر ضعيف الجامع للألباني ٣٨٠١).

٢٣- علي خير البشر فمن أبي فقد كفر. موضوع: قال الحافظ بن حجر: أخرجه ابن عدي من طرق كلها ضعيفة، تسديد القوس (٣/ ٨٩). قال الذهبي: هذا حديث منكر. ووصف الذهبي هذا الحديث بأنه باطل جليّ (ميزان الاعتدال ١/ ٥٢١) وابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٣٤٨).

٢٤- من أحب أن يحيا حياتي ويموت موتتي ويسكن جنة الخلد التي وعدني ربي عز وجل وغرس قضبانها بيديه، فليتول عليّ بن أبي طالب. صححه الحاكم (٣/ ١٢٨) وتعقبه الذهبي بقوله فيه القاسم متروك وشيخه ضعيف، وهو: يحيى بن العلي الأسلمي. قال الحافظ في التقريب (٧٦٧٧): شيعي ضعيف. لكنه أخطأ في ذكر اسم الأسلمي فسماه المحاربي واستغل عبد الحسين في المراجعات ذلك أبشع استغلال.

٢٥- ما صب الله في صدري شيئًا إلا صببته في صدر عليّ. حديث موضوع (الموضوعات ١/ ١٣١)، أسس الطالب (١٢٦٢).

٢٦- محبك محبي ومحبي محب الله، ومبغضك مبغضي ومبغضي مبغض الله. قال الحافظ: رواه ابن عدي وهو باطل. (لسان الميزان ٢/ ١٠٩).

٢٧- يا علي أبشر فإنك وأصحابك وشيعتك في الجنة، يا عليّ صليت العصر؟ قال: لا، قال: اللهم إنك تعلم أنه في حاجتك وحاجة رسولك فرد عليه الشمس قال: فردها عليه فصلى علي وغابت الشمس. (حديث موضوع).

نسأل الله أن يرزقنا سلامة المعتقد وصحة في الدين وعافية في البدن، والحمد لله رب العالمين.

مقدمة في فقه النوازل

الحلقة الأولى

إعداد / د. محمد يسري

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فلا يخفى أن المسلمين في زمن النبي صلى الله عليه وسلم كانت تَجِدُّ بينهم وقائع، وتنزل بهم نوازل، فيلجاون إلى النبي صلى الله عليه وسلم يلتمسون حكمها، ويطلبون هداية فيها، وكثيرًا ما كان يوجه السؤال إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلا يلبث الوحي أن ينزل بجواب يشفي الصدور، كما قال تعالى: «يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ» [البقرة: ١٨٩]، وقال تعالى: «يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا» [البقرة: ٢١٩]، وغير ذلك من الأسئلة.

وربما جاء التعبير عن هذه المسائل بالاستفتاء كما قال تعالى: «وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ» [النساء: ١٢٧]، وقال تعالى: «يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ» [النساء:١٧٦].

وربما تدخل الوحي القرآني مباشرة في واقعة مستجدة، أو نازلة حادثة، كما في مسألة الظهار التي سطرها الوحي في صدر سورة المجادلة، وهي قوله تعالى: «قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ» الآيات [المجادلة: ١-٣].

وربما قضى النبي صلى الله عليه وسلم وأفتى بسنته الشريفة في مسائل ونوازل لم ينزل فيها قرآن يُتلى، وهذا في السنة كثير مشتهر.

قال ابن القيم: «وأول من قام بهذا المنصب الشريف سيد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبيين عبدُ الله ورسولُه وأمينه على وحيه، وسفيره بينه وبين عباده، فكان يفتي عن الله بوحيه المبين، وكان كما قال له أحكم الحاكمين: «قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ» [ص: ٨٦] [إعلام الموقعين لابن القيم (١/١١)].

وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم كان الصحابة يرجعون إلى علمائهم، وعلى رأسهم الأربعة الخلفاء، الأئمة الحنفاء، المأمور بلزوم سنتهم، واقتفاء أثرهم، وكانوا رضي الله عنهم يلتمسون الأحكام في كتاب ربهم وسنة نبيهم، لا يجاوزون ذلك، فإذا أعياهم البحث عن النص القاطع للنزاع اجتهدوا في استنباط حكم تلك الواقعة المستجدة الذي يوافق الكتاب والسنة، ولا يصادم مقاصد الشريعة الغراء، ولا ينافي قواعدها الكلية.

يقول عنهم أبو شامة رحمه الله: «فكانوا إذا نزلت بهم نازلة بحثوا عن حكم الله فيها من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وكانوا يتدافعون الفتوى، ويود أحدهم لو كفاه إياها غيره»[«المؤمل للرد إلى الأمر الأول» لعبد الرحمن بن أبي شامة، ضمن مجموع «الرسائل المنيرية»: (٢/٢٣)].

ومع هذا التحفظ فقد وقع منهم الاجتهاد كثيرًا، ولقد أحصى ابن حزم في كتابه جوامع سِيَر فقهاء الصحابة، فبلغ عددهم اثنين وستين ومائة؛ ما بين رجل وامرأة، المكثرون منهم سبعة هم عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود، وأم المؤمنين عائشة بنت الصديق، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم جميعًا.

يقول ابن القيم: «وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهدون في النوازل، ويقيسون بعض الأحكام على بعض، ويعتبرون النظير بنظيره» [«إعلام الموقعين» لابن القيم: (١/٢٠٣)].

ولعل من أخطر النوازل التي واجهها الصحابة في أول خلافة الصديق رضي الله عنه: ردة عدد من القبائل عن الإسلام، وامتناع عدد آخر عن أداء الزكاة، وإن بقوا على الإسلام، ووقع الخلاف بين الصحابة؛ حيث ذهب كثير منهم إلى ترك قتالهم، ثم ما لبثوا أن شرح الله صدورهم لاجتهاد الصديق ومن معه في هذه النازلة.

عن ميمون بن مهران قال: «كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه إذا ورد عليه أمر نظر في كتاب الله،

فإن وجد فيه ما يقضي به قضى، وإن لم يعلم خرج فسأل المسلمين عن السُّنة، فإن أعياه ذلك، دعا رؤوس المسلمين وعلماءهم واستشارهم، فإذا اجتمع رأيهم على الأمر قضى به، وإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يفعل ذلك» [«سنن البيهقي الكبرى»: (١١٤/١٠)، ونقله الحافظ ابن حجر في «الفتح»: (٣٤٢/١٣) عن البيهقي، وقال: صحيح الإسناد].

وفي بداية عهد الفاروق رضي الله عنه وما تبعه من عهود الراشدين كثرت النوازل التي تزامنت مع اتساع رقعة الدولة الإسلامية، ودخول بلاد ذات ثقافات وحضارات مختلفة في دين الله عز وجل.

وعن المسيب بن رافع رضي الله عنه قال: «كانوا إذا نزلت بهم قضية ليس فيها من رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرٌ، اجتمعوا لها وأجمعوا، فالحق فيما رأوا» [سنن الدرامي، المقدمة، باب التورع عن الجواب فيما ليس فيه كتاب ولا سنة: (١١٥)].

وفي القرن الهجري الأول كانت العناية بالفقه وأحكامه الأساسية تعليمًا وتعلمًا، وبما يجد وينزل سؤالاً واستفتاءً، ولم يكن ثمة ما يدعو للفصل بين الفقه والنوازل، بل كانا متلازمين، وإن كانا لم يدوّنا آنذاك.

معنى النوازل لغة واصطلاحًا:

النوازل لغة: جمع نازلة، ويقال في الجمع نوازل ونازلات، وجذرها (ن ز ل) يدل على هبوط الشيء ووقوعه. [انظر: «معجم مقاييس اللغة» لابن فارس: (ص ١٠٢٢، ١٠٢٣)].

والنازلة المصيبة والشدة من شدائد الدهر تنزل بالناس. [«المصباح المنير» لأحمد محمد الفيومي: (ص ٣٠٩)، «الكليات» لأيوب بن موسى الكفوي اللغوي: (ص٩١٠)].

واصطلاحًا: استعمل بعض الفقهاء مصطلح النازلة على معناها اللغوي المتقدم في مواضع من كتب الفقه كقولهم: «يجوز القنوت في النوازل» أي: المصائب العامة، والشدائد المدلهمة، وعلى هذا تحمل ترجمة النووي -رحمه الله- في شرحه على صحيح مسلم: «باب استحباب القنوت في جميع الصلوات إذا نزلت بالمسلمين نازلة والعياذ بالله»[«صحيح مسلم بشرح النووي» للإمام النووي: (١٧٦/٥)]، ثم ذكر أنواعًا من المصائب: «كعدوّ، وقحط، ووباء، وعطش، وضرر ظاهر بالمسلمين، ونحو ذلك». [المصدر السابق: (١٧٦/٥)].

وكذا قول ابن تيمية رحمه الله: «فيكون القنوت مسنونًا عند النوازل».[الفتاوى الكبرى لابن تيمية: (٢٤٥/٢)].

ونحو هذا قولهم: «للإمام أن يقنت في الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة» [«المغني» لابن قدامة المقدسي: (٥٨٦/٢)].

وأما على الاصطلاح الفقهي فقد عرفها ابن عابدين رحمه الله بأنها: «المسائل التي سئل عنها المشايخ المجتهدون في المذهب، ولم يجدوا فيها نصًا، فأفتوا فيها تخريجًا». [«رد المحتار على الدر المختار» لابن عابدين: (٣٥/١)].

وقوله: «لم يجدوا فيها نصًا»، لا يعني عدم وجوده، فقد تسمى النازلة في حق شخص لجهله بحكمها، ألا ترى أنهم يقولون مثلاً: «إذا نزلت بالعامي نازلة وهو في مكان لا يجد من يسأله عن حكمها، أنه يجب عليه أن يتقي الله ما استطاع، ويتحرى الحق بجهده ومعرفة مثله» [«إعلام الموقعين» لابن القيم: (٢١٩/٤)].

وهذا ما سُمي عاميًا إلا لجهله بالنصوص الشرعية، ومسالك أهل العلم في استثمارها.

ولعل «النص» هنا يشمل: النص الشرعي من القرآن والسنة، ونصوص الأئمة المدونة في المذهب الفقهي.

فالنازلة على وجه العموم: «هي الحادثة التي تحتاج إلى حكم شرعي» [«معجم لغة الفقهاء» د.محمد رواس قلعة جي، د.حامد صادق قنيبي، (ص٤٧١)].

فإن النوازل المستجدة تبقى مسائل تتعلق بأفعال المكلفين، ولا يوجد في ذخيرتنا الفقهية نص واف ببيان حكمها، فهي مفتقرة إلى استفراغ الوسع وبذل غاية الجهد في استنباط حكمها وإدراك مأخذها.

التعريف اللقبي:

بناءً على ما سبق فإن «فقه النوازل» هو العلم الذي يبحث في الأحكام الشرعية للوقائع المستجدة والمسائل الحادثة، مما لم يرد بخصوصها نص ولم يسبق فيها اجتهاد.

على أن المقصود بتلك المسائل الحادثة والوقائع المستجدة ما يشمل أمورًا ثلاثة هي:

١- ما وقع للمرة الأولى مثل: زراعة الأعضاء، والاستنساخ مما لم يرد بخصوصه نص أو يسبق فيه اجتهاد.

٢- ما وقع قبل ذلك لكن تغير حكمه لتغير ما ابتنى عليه الحكم، مثل: اختلاف صور قبض المبيع بعد اختلاف الأعراف.

٣- ما وقع قبل ذلك إلا أنه اجتمع لدى وقوعه فيما بعد تداخل أكثر من صورة، مثل: عقود المقاولات والاستصناع.

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

نظرات في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم

عزم وإصرار على نشر الدعوة



إعداد/ جمال عبد الرحمن

الحمد لله المتفرد باسمه الأسمى، المختص بالمُلك الأعز والكمال المطلق الأعلى، الذي ليس دونه منتهى ولا وراءه مرمى، الظاهر لا تخيلاً ووهمًا، الباطن تقدسًا لا عدمًا، وسع كل شيء رحمة وعلمًا، وأسبغ على أوليائه نعمًا عَمًا، وبعث فيهم رسولاً من أنفسهم عربًا وعجمًا، أزكاهم روحًا وجسمًا، وأرجحهم عقلاً وحلمًا، وأوفرهم علمًا وفهمًا، وأقواهم يقينًا وعزمًا، وأشدهم بهم رأفةً ورُحْمى، وحاشاه عيبًا ووصمًا، وآتاه حكمة وحُكمًا، وفتح به أعينًا عميًا، وقلوبًا غُلفًا، وآذانًا صُمًا، فآمن به وعزره ونصره من جعل الله له في مغنم السعادة قسْمًا، وكذّب به وصَدَفَ عن آياته من كتب الله عليه الشقاء حتمًا، ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى، صلى الله على سيد ولد آدم صلاة تنمو وتَنْمى، وعلى آله وسلم تسليمًا كثيرًا، وبعدُ؛

فإني تجشمت من خلال هذا الباب المبارك أن ألقي نظرات وأمعن النظر في سيرة خير الأنام وسيد البشر ؛ أستخلص منها بتوفيق الله تعالى الدروس والعبر، التي تكون سبيلاً وأسوة لمن اعتبر وادّكر، يكون إن شاء الله ذلك مع التعريف بقدر المصطفى عليه الصلاة والسلام، وما يجب له من محبة وتوقير وإكرام، من خلال وقفات مع سيرته صلى الله عليه وسلم التي مدحها رب الأنام، فرفع منزلته وأعلى مقامه الملك العلام، بسمو خُلقه وجميل معروفه مع سائر الأنام، وشهادة أعدائه بذلك عَبْر الدهور والأيام.

ويا لجراتي، فما حكم مَنْ لم يوفِّ واجب ذلك السيد العظيم القدر؟ أو قصَّر في حق منصبه الجليل قُلامة ظُفر؟

فهذا بحر لا يُدرك ساحله، ولا تُقْطع مسافاته ومراحله، إذا لم نهتدِ بعلم رشيد، ونظر سديد، وإن لم نعتمد على توفيق من الله وتأييد، فاللهم يا مُعلم إبراهيم علمني، ويا مفهم سليمان فهِّمني، وبهداك اهدني وبتوفيقك أيِّدني.

الرسول الرحمة المهداة صلى الله عليه وسلم

لقد مَنَّ الرحمن سبحانه وتعالى على العالمين برحمة أرسلها إليهم جميعًا، هذه الرحمة تجسدت في شخص خاتم النبيين، الذي جعله الله تعالى معلمًا للكتاب والحكمة، فكان بذلك جديرًا، كما أرسله شاهدًا ومبشرًا ونذيرًا، وداعيًا إليه بإذنه وسراجًا منيرًا، وجعل محبة الله في اتباعه ومحبته، والهداية في طاعته، لأجل هذا شرح الله له صدره، ووضع عنه وزره، ورفع له ذكره، وزكّى لسانه وسمعه، ومنطقه وقلبه، ومدح خلقه وبصره، فما زاغ بصره وما طغى، وما كذب فؤاده ما رأى، بل عظم خلقه وسَمَا، فاستحق الثناء في الملأ الأعلى:

« مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ (٣) وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ (٤) وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ
رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ (٥) أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ (٦) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ (٧)

﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى: ٣- ٨].

العلاقة بين المسلمين ونبيهم صلى الله عليه وسلم:

لقد شرفنا الله تعالى أن نكون من أفراد أمة النبي صلى الله عليه وسلم، فما رأينا العزة إلا في الانتساب إليه وإلى ملته، وما عرفنا سعادة الدنيا والآخرة إلا بسنته، وما وجدنا الهُدى إلا في طاعته.

فهو القدوة الأوحد، يُؤخذ قوله ولا يُرد، ولا يُتجاوز في مدحه الحد، لكنه سيدُ كل ولد، فلله المنة والحمد، على نعمه التي لا تُحصى ولا تُعد.

وحينما نتحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم فهو حديث الجندي عن قائده، والتابع عن سيده، والتلميذ عن أستاذه، فسيرته تنبض بالحياة والقوة، وهي مصدر الأسوة الحسنة والقدوة، التي يقتفيها المسلم الذي يتمسك بأوثق عروة، كما أنها منبع الشريعة العظيمة التي يدين بها الصفوة.

وحياته صلى الله عليه وسلم ليست مجرد قصة تُتلى في يوم مولده كما يفعل جُهَّال الناس الآن، ولا التنويه به يكون في الصلوات المخترعة التي قد تُضم إلى ألفاظ الأذان، ولا إكنان حبه يكون بتأليف مدائح له، وصياغة نعوت مستغربة وألحان، يتلوها العاشقون، ويتأوهون أو لا يتأوهون، فرباط المسلم برسوله الكريم أقوى وأعمق من هذه الروابط الملفقة المكذوبة على الدين، وما جَنَحَ المسلمون إلى هذه التعابير إلا يوم أن تركوا اللباب المليء وأعياهم حَمله، فاكتفوا بالمظاهر والأشكال.

إن الجهد الذي يتطلب العزمات هو في الاستمساك باللباب المهجور، والعودة إلى جوهر الدين ذاته، بدلاً من الاستماع إلى قصة المولد يتلوها صوت رخيم، ينهض المرء إلى تقويم نفسه، وإصلاح شأنه حتى يكون قريبًا من سنن الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم في معاشه ومعاده، وحربه وسلمه، وعمله وعلمه، وعاداته وعبادته، وهذا هو مقتضى الحب الحقيقي لهذا الرسول صلى الله عليه وسلم.

إن المسلم الذي لا يعيش الرسولُ الكريم صلى الله عليه وسلم في نفسه وقلبه؛ ولا تتبعه بصيرته في عمله وتفكيره، لا يُغني عنه أن يحرك لسانه بألف صلاة عليه في اليوم والليلة، مهتزًا بذلك مغنيًا معجبًا، فتحويل الإسلام إلى غناء يصبح القرآن فيه ألحانًا عذبة، والسيرة قصائد وتواشيح، فهذا ما لا مساغ له، ولا يقبله إلا الصغار الغافلون، وقد تم هذا التحوُّل على حساب الإسلام، فانسحب الدين من ميدان السلوك والتوجيه إلى ميدان اللهو واللعب، وحَقَّ فيمن فعلوا ذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [الأنعام: ٧٠].

إن الذي يبتغي العمل الجاد يطلبه من مصادره المصفَّاة؛ قرآنًا يأمر وينهى، ليُفْعَل أمرُهُ، ويُترك نهيه، وسنة تُفصِّل وتوضح ليُسار على هديها، ويُنتفع من حكمتها، وسيرة تزكي روادها بالأدب الزكي، والقواعد النورانية، والسياسة الراشدة.

ألا ما أرخص الحب إذا كان مجرد كلام، وما أغلاه حينما يتحول إلى قوة وزمام.

إن الرجال الذين يثبتون على الحق بعد رحيل نبيهم عنهم هم المسلمون حقًا، فإن الإسلامَ رباط بمبادئ لا بأشخاص، وقد علم الله نبيه صلى الله عليه وسلم وعلَّم المسلمين في شخصه أن يلتزموا الحق الذي عرفوا، وأن يتشبثوا به مهما غُولبوا وحُوربوا.

قمة الإخلاص والحرص على نشر دعوة الله:

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المثل الأعلى، والإمام الأعظم في تمثيل الحق والدعوة إليه والدفاع عنه، وفي الوقت ذاته مجابهة الباطل وأهله، مهما اغتروا بكثرتهم العددية وقوتهم المادية.

ظهر ذلك عندما اغتنم الكفار فرصة مرض أبي طالب - عم النبي صلى الله عليه وسلم - وضعفه عن نصرة ابن أخيه، فجاءوا إليه ليزيلوا هذا السد المنيع الذي يقف بينهم وبين النيل من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لما مرض أبو طالب، دخل عليه رهط من قريش فيهم أبو جهل بن هشام، فقالوا: إن ابن أخيك يشتم آلهتنا ويفعل ويفعل، ويقول ويقول، فلو بعثت إليه فنهيته، فبعث إليه فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل البيت وبينهم وبين أبي طالب قدر مجلس رجل، فخشي أبو جهل إن جلس النبي إلى جانب عمه أبي طالب أن يكون أرَقَّ عليه، فوثب فجلس في ذلك المجلس.

ولم يجد رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسًا قرب عمه فجلس عند الباب، فقال له أبو طالب: أي ابن أخي؛ ما بال قومك يشكونك ويزعمون أنك تشتم آلهتهم وتقول وتقول؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عم؛ إني أريدهم على كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب، وتؤدي إليهم بها العجم الجزية، ففزعوا لكلمته ولقوله، وقالوا: كلمةً واحدة؟ نعم وأبيك، عشرًا (أي نقول عشر كلمات)، وما هي؟ قال: لا إله إلا الله، فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم وهم يقولون: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥] إلى قوله: ﴿بَل هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ [ص: ٨]. (تفسير الطبري ١٢٥/٢٣، أحمد والترمذي، وقال: حسن صحيح).

وهنا تظهر شراسة أهل الباطل في مواجهة أهل الحق، ومحاولة إضعاف شخصيتهم بكل الأساليب والحيل لينهزموا وينزووا بعيدًا عن الأنظار في خَوَر وحرج

من تمثيل الحق والدفاع عنه.
لكن الهمة العالية والأسلوب البارع لرسول الله صلى الله عليه وسلم والإثارة وشدة الانتباه، حتى ظن القرشيون أنه حصر دعوته في كلمة واحدة، وسيتنازل عما سواها، فأبدوا استعدادهم لأكثر مما طلب.
لكنهم فوجئوا بكلمة وإن كانت واحدة لكنها تعني المنهج الكامل في طريق الاستقامة، الذي يتضمن التخلي عن جميع المعبودات والآلهة والمقدسات التي تعارف عليها البشر ونظمها وتشريعاتها.
إذن كان المشركون يدركون جيدًا مدلول كلمة التوحيد، ومسئولية النطق بها، وتبعة قولها، ولذلك فزعوا منها، إنها هدم لموروثاتهم، وحيلولة بينهم وبين اتباع أهوائهم، واستعباد المستضعفين من البشر.
ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم صريحًا معهم صادعًا في وجههم بما لا شك فيه ولا مواربة ولا مداراة، ولم تلنْ له في ذلك قناة، مع كثرتهم وكيدهم وتكالبهم عليه، وهذا مثل عالٍ يضربه النبي صلى الله عليه وسلم لأمته في معامَلة الخصوم المحادين للدعوة والدعاة، الصدع بالحق واضحًا جليًا لا يُخشى في الله لومة لائم.
وإن رد الرسول صلى الله عليه وسلم على قومه ووعده لهم إذا هم أسلموا بالسيادة على العالم عربه وعجمه، فضلاً عن الفوز برضوان الله في الآخرة ؛ ليوضح بجلاء عالمية الإسلام والدعوة، ويبين للذين ورثوا هذا الدين جيلاً بعد جيل وأنظارهم متوجهة فقط إلى السيادة على بلدانهم، وليس في حسهم نقل هذا الدين ونشره إلى العالم، بل قصرت أفكارهم على الحفاظ على المستوى الأعلى في متاع الدنيا، ولو في ظل هيمنة الأعداء عليهم؛ إن هؤلاء نكصوا عن الأهداف السامية التي يرمي إليها الإسلام «وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ» [الأنفال: ٣٩]، «لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ» [سورة التوبة: ٣٣]. «قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعًا».

عزم وإصرار لأولي العزم الأخيار

إن النبي صلى الله عليه وسلم لما وجد الصدود والصد والجحود لم يتراجع عن دعوته قيد أنملة، بل استمر في دعوته داخل مكة وخارجها، يبحث في القبائل عن ناصر قوي يتكفل بحماية الدعوة والمؤمنين بها: «من يأويني؟ من ينصرني حتى أبلغ رسالة ربي؟» [رواه أحمد (٣ / ٣٢٢، ٣٢٣ - ٣٣٩) وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» ١ / ٩٣].
لقد توجه النبي صلى الله عليه وسلم إلى الطائف التي تبعد عن مكة عشرات الكيلو مترات ماشيًا، ودعاهم إلى الله، فأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبّونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس وألجؤوه إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة، قال ابن إسحاق في سيرته: «فلما رآه ابنا ربيعة عتبة وشيبة وما لقي صلى الله عليه وسلم فيه الأذى تحركت له رحمهما، فدعَوَا غلامًا نصرانيًا يقال له: عداس، فقالا له: خُذ قِطفًا من هذا العنب فضعه في هذا الطبق، ثم اذهب به إلى ذلك الرجل فقل له يأكل منه، ففعل، فلما وضع الرسول صلى الله عليه وسلم فيه يده قال: بسم الله، ثم أكل، فنظر الغلام في وجهه ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد. انتهى.
وإن تسمية النبي صلى الله عليه وسلم قبل الأكل تطبيق لسُنَّة من سنن الإسلام الظاهرة كانت سببًا في إعجاب وانجذاب الغلام النصراني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وإن لنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة؛ حيث جهر بتطبيق الإسلام بكل تكاليفه ولم يخش في الله لومة لائم، أما محاولة الاندماج مع المجتمعات الوثنية، والذوبان فيما يسمونه بالحضارة، والاستخفاء بمعالم الإسلام الظاهرة فإن هذا يحصر انتشار الدين، ويحجب كثيرًا من نوره وشعاعه عن كثير ممن لم يعرفوه، فضلاً عن أنه يُضعف شخصية المسلمين، ويمحو سر تميزهم: « كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ »
[آل عمران: ١١٠].
اللهم إنا نسألك إيمانًا لا يرتد، ونعيمًا لا ينفد، ورفقة النبي محمد، في أعلى جنة الخلد. آمين.
والحمد لله رب العالمين.

إنا لله وإنا إليه راجعون

توفي ليلة الجمعة ٢٤ من ذي الحجة ١٤٣٣هـ الشيخ سعيد قتة، رئيس فرع الجماعة بحدائق حلوان بالقاهرة، وقد كان الشيخ رحمه الله مثالاً للداعية الذي لا يمنعه المرض من ممارسة الدعوة، وقد عُرف رحمه الله بشجاعته وثباته على المنهج.
وقد شيعت جنازته عقب صلاة الجمعة، فرحمه الله، ونسأل الله أن يجعله في الفردوس الأعلى.
أحمد يوسف عبد المجيد

باب الفقه

أحكام الصلاة

شروط الصلاة

الشرط السادس: ستر العورة

إعداد: د/ حمدي طه

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده:

فما يزال الحديث مستمرًا عن أحكام الصلاة، وفي هذا العدد نتحدث عن الشرط السادس من شروط صحة الصلاة ألا وهو ستر العورة، فنقول مستعينين بالله العلي القدير:

ستر العورة

العورة لغة: النقص، وشرعًا: ما يجب ستره، وما يحرم النظر إليه، والمعنى الأول هو المراد هنا في الصلاة. يُشترط ستر العورة عن العيون. (الفقه الإسلامي وأدلته ١/٦٥٠).

حكم ستر العورة في الصلاة:

يجب ستر العورة في الصلاة وغيرها ولو في الخلوة إلا لحاجة كاغتسال وتغوط واستنجاء، قال ابنُ عبد البَرِّ: وأجمع العلماء على أن ستر العورة فرض واجب بالجملة على الآدميين، وأنه لا يجوز لأحد أن يصلي عريانًا وهو قادر على ما يستر به عورته من الثياب، وإن لم يستر عورته وكان قادرًا على سترها لم تجزئه صلاته. (الاستذكار لابن عبد البَرِّ ٢/١٥٢).

وكذلك نقل شيخ الإسلام ابن تيمية أن العلماء اتفقوا على أن الإنسان الذي يصلي عُريانًا وهو قادر على اللباس فصلاته باطلة (التمهيد لابن عبد البرِّ ٦/٣٧٩»، وانظر: «مجموع الفتاوى» (٢٢/١١٦، ١١٧).

واختلفوا هل هو شرط من شروط صحة الصلاة أم لا؟ والأصح ما ذهب إليه الجمهور وهو أنه شرط لصحة الصلاة. والدَّليل على ذلك ما يلي:

١- قوله تعالى: «يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ» [الأعراف: ٣١]، أي عند كل صلاة؛ لأن أخذ الزِّينة يلزم منه سَتْر العورة، لأن الآية نزلت من أجل الذين كانوا يطوفون بالبيت عراة. (الاستذكار لابن عبد البَرِّ ٢/١٥٢).

٢- قول الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم: «إنْ كان واسعًا فالتحفْ به، وإن كان ضيقًا فاتَّزِرْ به»[صحيح الجامع للألباني ٢٧١]، فلا بُدَّ من الاتِّزار، وإذا كان واجبًا في العبادة، فكل واجب في العبادة شرط لصحَّتها، فإذا تركه الإنسان عمدًا بطلت هذه العبادة، (الشرح الممتع على زاد المستقنع ٢/١٥١).

شروط الثَّوب السَّاتر:

الشَّرط الأول: يجب أن يكون صفيقًا كثيفًا: فالواجب الستر بما يستر لون البشرة ولا يصفها، فإن كان الثوب خفيفًا أو رقيقًا يصف ما تحته أو يتبين لون الجلد من ورائه، فيعلم بياضه أو

حمرته، لم تجز الصلاة به؛ لأن الستر لا يحصل بذلك. (الفقه الإسلامي وأدلته ١/٦٥١)، وإن كان يستر لونها، ويصف الخلقة أو الحجم؛ جازت الصلاة به؛ فقد اتفق أهل العلم على أن ظهور الحجم إذ سترت البشرة أنه ليس بمعتبر في سترها، وذلك لمشقة التحرز من ذلك. (شرح زاد المستقنع، للشيخ حمد بن عبد الله الحمد ٤/٤١)، لكنه عند الشافعية للمرأة مكروه، وللرجل خلاف الأولى. فظهور حجمها لا يعد مخالفًا للستر الواجب الشرعي (الفقه الإسلامي وأدلته ١/٦٥١).

الشرط الثاني: أن يكون طاهرًا. فإذا كان نجسًا فإنه لا يصحُّ أن يصلي به، والدليل ما يلي:

قوله تعالى: «وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ» [المدثر: ٤] فالآية دلت على وجوب طهارة الثوب.

٢- أن النبيَّ صلى الله عليه وسلّم كان يُصلي ذات يوم بأصحابه؛ فخلع نعليه، فخلع الناسُ نعالَهم، فلما سَلَّمَ سألهم: لماذا خلعوا نعَالهم؟ قالوا: رأيناك خلعت نعليك فخلعنا نعالنا، فقال: «إنَّ جبريل أتاني فأخبرني أنَّ فيهما أذى»[أبو داود وصححه الألباني]، وهذا يدل على وجوب التنزُّه مما فيه نجاسة.

هل يشترط أن يكون الثوب الساتر مباحًا- أي: ليس بمحرَّم- ؟ هذا الأمر محل خلاف بين العلماء، فجمهور أهل العلم على أن السَّتر يحصُل بالثوب المحرَّم: فيصح الستر مع الحرمة وتنعقد الصلاة، وقال الحنابلة في أشهر الروايتين: لا تصح الصلاة في ثوب حرام، إن كان عالمًا ذاكرًا (الفقه الإسلامي وأدلته ١/٦٥٢).

واحتج الجمهور على صحة مذهبهم بأن جهة النَّهي والأمر مختلفة؛ لأن المحرَّم في هذا الثوب ليس هو لُبْسُه في الصَّلاة، بل المحرَّم لُبْسُ هذا الثوب مطلقًا، وعلى هذا فيكون مورد النهي غير مورد الأمر، فإذا صَلى بثوب مُحَرَّم فصلاتُه صحيحة؛ لكنه آثم؛ لأنه متلبِّسٌ بثوبٌ محرَّمٌ. (الشرح الممتع على زاد المستقنع ٢/١٥٥).

حد العورة:

يشترط عند أكثر أئمة المذاهب لصحة الصلاة ستر العورة كما تقدم، لكن الفقهاء اختلفوا في حد العورة للرجل والمرأة الحرة، والخلاصة: أن العلماء اتفقوا على أن الفرجين من العورة في الرجل، وأن السرة ليست بعورة، واختلفوا في الفخذين والركبتين. (الفقه الإسلامي وأدلته ١/٦٥٤).

وسبب الخلاف في ذلك تعارض بعض الآثار واختلاف مسلك أهل العلم في التعامل مع هذه الآثار، وأشهر هذه الآثار حديث جرهد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الفخذ عورة» [صحيح الجامع ١٦٨٣]. والحديث يدل على أن الفخذ عورة، وقد ذهب إلى ذلك الشافعي وأبو حنيفة. قال النووي: ذهب أكثر العلماء إلى أن الفخذ عورة، والثاني حديث أنس في الصحيحين - في غزوة خيبر - وهو حديث طويل وفيه: (وإن ركبتي لتمس فخذ النبي صلى الله عليه وسلم، ثم حسر الإزار عن فخذه - وفي رواية (ثم انحسر الإزار عن فخذه حتى إني أنظر إلى بياض فخذَيْ النبي صلى الله عليه وسلم) [متفق عليه]. (بداية المجتهد ونهاية المقتصد ١/٩٥بتصرف).

وقد سلك البعض مسلك الجمع كالبخاري حيث قال: حديث أنس أسند وحديث جرهد أحوط، وحتى إذا قلنا: إن الفخذ ليس بعورة، فكما قال شيخ الإسلام: «موضع هذا خارج الصلاة، أما في الصلاة، فيجب سترها، لقوله صلى الله عليه وسلم - في الثوب الواحد - (إن كان واسعًا فالتحف به وإن كان ضيقًا فاتزر به) [صحيح الجامع ٢٧١]. (شرح العمدة في الفقه ٤/٤٣).

أما الركبة: فجمهور أهل العلم على أنها ليست بعورة، وهي عورة عند أبي حنيفة؛ لحديث وارد في الدارقطني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الركبة من العورة) لكن الحديث إسناده ضعيف جدًا.فالراجح مذهب الجمهور.

حد العورة من المرأة في الصلاة:

أما صحة الصلاة مع كشف الوجه فلا خلاف بين المسلمين قال ابن تيمية: وأما الوجه فلا تستره في الصلاة إجماعًا. (شرح العمدة في الفقه٣/٢٢٩)، وذهب الجمهور إلى أن الكفين يجوز كشفهما في الصلاة قياسًا على الوجه. وهذا قياس واضح، وهذا هو الراجح (شرح زاد المستقنع: الشيخ حمد بن عبد الله الحمد ٤/٤٧).

وأما القدمان: فجمهور أهل العلم: على النهي عن كشفهما. واستدلوا: بما رواه أبو داود من حديث أم سلمة: أنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: (أتصلي المرأة في درع وخمار بغير إزار فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (نعم إذا كان الدرع سابغًا يغطي ظهور قدميها) [أبو داود وصححه الألباني] على أن هذا الدليل: ليس دليلًا تامًا لهم؛ لأنه ليس فيه تغطية باطن القدمين، وإنما فيه تغطية ظاهرهما، وظاهر كلامهم تعميم ذلك في باطن القدمين وظاهرهما. وذهب أبو حنيفة وشيخ الإسلام ابن تيمية إلى أن عورة المرأة في الصلاة جميع بدنها حتى شعرها النازل في الأصح، ما عدا الوجه والكفين، والقدمين ظاهرهما وباطنهما على المعتمد، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن النساء في عهد الرَّسول عليه الصَّلاة والسَّلام كُنَّ في البيوت يلبسن القُمُص، وليس لكل امرأة ثوبان، ولهذا إذا أصابَ دَمُ الحيض الثوبَ غسلته وصَلَّت فيه، فتكون القدمان والكَفَّان غير عورة في الصَّلاة.. (مجموع الفتاوى ٢٢/١٠٩ مختصرًا).

ما يجزئ من اللباس:

وبعد أن ذكرنا حد العورة من الرجل والمرأة يكون ما يجزئ من اللباس هو ثوب واحد يستر العورة، وبعضه - عند الحنابلة - أو غيره على عاتقه، والعاتق: هو موضع الرِّداء من الرَّقبة، فالرِّداء يكون ما بين الكَتف والعُنق لما روى عمرو بن سلمة «أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي في ثوب واحد، في بيت أم سلمة، قد ألقى طرفيه على عاتقه». قال ابن تيمية: وأما إذا جرد منكبيه مع قدرته على سترتهما فلا تصح صلاته في الجملة. (شرح العمدة في الفقه)، والقول الثاني: أنَّ سَتْرَ العاتقين سُنَّة؛ وليس بواجب؛ لحديث: «إنْ كان ضيِّقًا فاتَّزِرْ به»، وهذا القول هو الرَّاجح، وهو مذهب الجمهور، وكونه لا بُدَّ أن يكون على العاتقين شيء من الثوب ليس من أجل أن العاتقين عورة، بل من أجل تمام اللباس وشدِّ الإزار؛ لأنه إذا لم تشدَّه على عاتقيك ربما ينسلخ ويسقط، فيكون ستر العاتقين هنا مرادًا لغيره لا مرادًا لذاته. (الشرح الممتع ٢/٧٣).

وتصلي المرأة في درع وخمار وتكشف الوجه والكفين والقدمين على الأرجح من أقوال أهل العلم.

الثياب التي يُستحب الصلاة بها:

وهو أن يصلي الرجل في ثوبين أو أكثر، فإنه أبلغ وأعم في الستر، روي عن عمر أنه قال: «إذا أوسع الله فأوسعوا، جمع رجل عليه ثيابه، صلى رجل في إزار وبرد، أو في إزار وقميص، في إزار وقباء، في سراويل ورداء، في سراويل وقميص، في سراويل وقباء، في تُبَّان وقميص» رواه البخاري.

والمستحب للمرأة أن تصلي في ثلاثة أثواب: خمار تغطي به الرأس والعنق، ودِرْع والدِّرعُ هو: القميص السابغ الذي يصل إلى القدمين. تغطي به البدن والرجلين، وملحفة صفيقة، والملحَفَة: ما يُلَفُّ على الجسم كله كالعَباءة والجلباب وما أشبههما، لقول عمر رضي الله عنه: «تصلي المرأة في ثلاثة أثواب: درع وخمار وإزار»، والمستحب أن تكثف المرأة جلبابها، حتى لا يصف أعضاءها، وتجافي الملحفة عنها في الركوع والسجود، حتى لا يصف ثيابها. (الفقه الإسلامي وأدلته ٢/١٦٠).

بعض الصور التي ورد النهي عنها:

اشتمال الصماء: ورد النهي عن اشتمال الصماء في الصلاة كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: (نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يحتبي الرجل في الثوب الواحد ليس على فرجه منه شيء، وأن يشتمل الصماء بالثوب الواحد ليس على أحد شقيه منه يعني شيء) متفق عليه.

واشتمال الصَّمَّاء: أن يلتحف بالثوب ولا يجعل ليديه مخرجًا؛ لأن هذا يمنع من كمال الإتيان بمشروعات الصَّلاة، وقال بعض العلماء: إن اشتمال الصمَّاء أن يضطبع بثوب ليس عليه غيره، أما إذا كان عليه ثوب آخر فلا كراهة؛ لأنه لُبْسة المحرِم، وفَعَلَها النبيُّ صلى الله عليه وسلَّم.

ووجه الكراهة هنا: أن فيه عُرضَةً أن يسقطَ فتنكشف العورة، وقيل هو: أن يجعل الرِّداء على رأسه ثم يسدل طرفيه إلى رجليه. فهذه ثلاث صفات لاشتمال الصمَّاء. (الشرح الممتع ٢/٨٦).

السَّدلُ في الصَّلاة:

والسَّدلُ: أن يَطْرَح الرِّداءَ على كتفيه، ولا يردَّ طرفَه على الآخر. ولكن إذا كان هذا الثَّوب مما يلبس عادة هكذا، فلا بأس به، ولهذا قال شيخ الإسلام: إنَّ طَرْح القَبَاءَ على الكتفين من غير إدخال الكمَّين لا يدخل في السَّدْل. والقَبَاء يُشبه ما يُسمَّى الآن «الجُبَّة». والنهي جاء في السنة فعن أبي هريرة: (أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهى عن السدل في الصلاة وأن يغطي الرجل فاه) رواه أبو داود (الشرح الممتع ٢/٨٥).

تغطية الفم:

لحديث أبي هريرة السابق وفيه (نهى أن يغطي الرجل فاه». وروي عن الحنابلة في كراهة التلثم على الأنف روايتان: إحداهما: يكره؛ لأن ابن عمر كرهه. والأخرى: لا يكره: لأن النهي ورد في تغطية الفم.

التشمير في الصَّلاة:

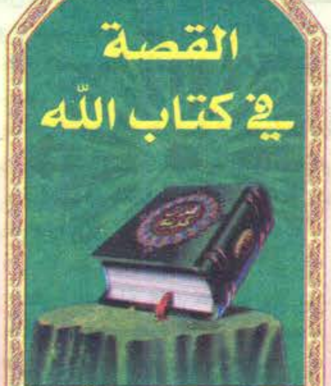
مكروه اتِّفاقًا، قالوا: ونهيه يشمل كفَّ الثوب كلِّه، كما لو كفَّه من أسفل، أو كفَّ بعضه كالأكمام، والدليل: قولُ الرَّسول صلى الله عليه وسلَّم: «أُمِرْتُ أن أسجُد على سَبْعَة أَعْظُم، ولا أكُفَّ شَعْرًا ولا ثَوْبًا» (متفق عليه)، كل هذا مكروهٌ للحديث، ولأنه ليس من تمام أخذ الزِّينة، فإنَّ أخذ الزِّينة عند الناس أن يكون الثَّوب مرسلًا غير مكفوف، ثم إن الإنسان قد يفعله ترفعًا؛ لئلا يتلوَّث ثوبُه بالتُّراب فيكون في هذا نوعٌ من الكبرياء.

إسبال القميص والإزار والسراويلات على وجه الخيلاء:

والإسبال في اللُّغة: الإرخاء والإطالة، وقد نهى عنه صلى الله عليه وسلَّم كما في حديث ابن مسعود: «من أسبل إزاره في صلاته خيلاء، فليس من الله جل ذكره في حل ولا حرام» رواه أبو داود والترمذي والنسائي وقال الترمذي: حديث صحيح وصححه الألباني. وقوله أيضًا: «من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه»متفق عليه. (الفقه الإسلامي وأدلته ٢/١٦١).

وللحديث بقية إن شاء الله.

القصة في كتاب الله



عاقبة الكفر

إعداد/ عبد الرزاق السيد عيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

قال الله تعالى: «وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ» [النحل: ١١٢- ١١٣]، تعدد ضرب الأمثال في هذه السورة الكريمة – سورة النحل –، ومن هذه الأمثال هذا المثل الذي ذكرَهُ الله عن هذه القرية، وسنعرض لهذا الموضوع بفضل الله ورحمته على المحاور التالية:

أولا: علاقة هذا المثل بالسورة وتأتي في الصور التالية:

١- هذه السورة «سورة النحل» حشدت مجموعة هائلة من نعم الله في الكون؛ سمائه وأرضه، وبحاره وأنهاره، وجماده ونباته، وحشراته وحيوانه؛ كلها تنطق وتشهد بوحدانية الله سبحانه.

لذا ناسب أن يذكر حال المؤمنين الشاكرين، وفي مقابله حال الكافرين الظالمين، فذكر هذا المثال للمكذبين وغيرهم.

كما عقب بذكر أبي الأنبياء إبراهيم في ختام السورة كمثال للشاكرين وكقدوة لهم، فقال سبحانه: «إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ» [النحل: ١٢٠- ١٢٢].

٢- هذا ولما ذكر الله مصير المؤمنين الصالحين في الدنيا والآخرة في قوله تعالى: «مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ» [النحل: ٩٧]، فهذا جزاء أهل الإيمان والعمل الصالح: الحياة الطيبة في الدنيا، والجنة في الآخرة، ناسب أن يقابله ذكر المكذبين الظالمين في قوله تعالى: «وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ» [النحل: ١١٢].

٣- أما علاقتها المباشرة بالآية التي قبلها مباشرة وهي قوله تعالى: «يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ» [النحل: ١١١] وما قبلها.

قال الإمام القاسمي – رحمه الله –: «اعلم أنه لما هدد الكفار بالوعيد الشديد في الآخرة، أنذرهم بنقمته في الدنيا أيضًا بالجوع والخوف». اهـ.

ثانيًا: القرية المقصودة هل هي مكة؟ أم أي قرية؟

رجَّح ابن كثير – رحمه الله – وغيره أن القرية هي مكة، واستدل من ذهب هذا المذهب بما جاء في الصحيحين وغيرهما في تفسير ابن مسعود رضي

الله عنه للدخان المذكور في سورة الدخان: «فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ» [الدخان: ١٠] أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى من الناس إدبارًا – يعني قريش في مكة – قال: «اللهم سبعًا كسبع يوسف»، دعا عليهم فأخذتهم سنة حصدت كل شيء حتى أكلوا الجلود والميتة، وكان ينظر أحدهم إلى السماء فيرى دخانا من الجوع، فأتاه أبو سفيان بن حرب فقال: يا محمد، إنك جئت تأمرنا بالطاعة وصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا فادع الله لهم. فدعا لهم الرسول صلى الله عليه وسلم، فكشف الله عنهم، ثم عادوا إلى كفرهم، فكانت البطشة يوم بدر.

وذكر ابن قتيبة في تفسير الدخان معنيين: أحدهما: أن في سنة القحط يعظم يبس الأرض؛ بسبب انقطاع المطر، ويرتفع الغبار ويُظلم الهواء، وذلك يشبه الدخان، ولهذا يُقال لسنة المجاعة «الغبراء».

وقد رجح هذا القول أيضًا العلامة أبو السعود في تفسيره. وقال العلامة الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله: «وهذه القرية هي مكة المشرفة التي كانت آمنة مطمئنة لا يُهاج فيها أحدٌ، وتحترمها الجاهلية الجهلاء، حتى إن أحدهم يجد قاتل أبيه وأخيه فلا يُهيجُه، فحصل بها من الأمن التام ما لم يحصل لسواها، وكذلك الرزق الواسع». اهـ.

قال صاحب فتح القدير: «هو مَثَل ضربه الله لأهل مكة بقرية من القرى الظالمة لتتعظ قريش، فلا تستمر على ضلالها، وقيل: القرية هنا: هي مكة نفسها، ضربها الله مثلًا لغيرها». اهـ.

ونحن نميل لمن رأى أنها مكة (والله أعلم)، ونرى أن السياق القرآني يؤكد ذلك الاتجاه، وهذا ما سنعرض له الآن وبالله التوفيق.

قال الله تعالى: «وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ» [النحل: ١١٢].

وهذا الذي امتن به الله على أهل مكة «فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ» [قريش: ٣، ٤]، وحادث الفيل مشهور، وقد أشار إليه القرآن الكريم في سورة الفيل، وبيّن كيف أرسل على من أرادوا الكعبة بسوء طيرًا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل، فجعلهم كعصف مأكول، وقال تعالى: «أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ» [العنكبوت: ٦٧]، وقال تعالى: «أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» [القصص: ٥٧].

وقوله تعالى: «فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ» [النحل: ١١٢] لاحظ أن الله سبحانه ذكر أن القرية كفرت بأنعم الله أي بنعم الله بالجمع، ولم يقل بنعمتي الأمن والرزق (الإطعام)؛ لأن كفرهم كان بعد أن امتن الله عليهم بنعمة إرسال النبيِّ الأمي محمد صلى الله عليه وسلم وهم يعرفون شرَفه ونسَبه وصدقه وأمانته، ولما جاءهم بالحق من عند الله بشيرًا ونذيرًا كفروا به، وهذا من أعظم الجحود والنكران أن يكفروا بهذه النعمة العظيمة التي هي أمّ النعم وأشرف المنن، ولقد امتن الله عليهم بها في آي الذكر الحكيم في أكثر من موضع، فقال سبحانه: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» [الجمعة: ٢]، وقال تعالى: «كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ» [البقرة: ١٥١].

وهذا كثير في كتاب الله، لكن قريش كفرت بأنعم الله المادية والمعنوية، كفرت مكة بنعم الله في الأمن والطعام، وإرسال الرسول، فماذا كانت العاقبة؟

قال الله تعالى: «فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ» [النحل: ١١٢]، وتأمل هذا التصوير القرآني البليغ؛ حيث صوّر الخوف والجوع لباسًا لا ينفك عنهم أبدًا؛ بسبب كفرهم وتكذيبهم، وهذا ما حدث لأهل مكة بالفعل؛ حيث أصابهم ما أصابهم من المجاعة بعد أن دعا عليهم النبي كما وضحناه آنفًا، واستمر الجوع والخوف ملازمًا لهم، وخاصة بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة خوفًا من سطوة المسلمين وسراياهم على قوافل قريش التي لا طريق لها في عودتها من الشام إلا من المدينة، وما أصابهم يوم بدر، واستمر هذا الاضطراب والقلق حتى فتح الله مكة، وتم القضاء على الشرك نهائيًا، وبدَّل الله المؤمنين بعد خوفهم أمنًا، ورزقهم بعد العَيْلة، وجعلهم شرفاء الناس وحكامهم وقادتهم، وهذا وعد الله قد تحقق لعباده الصالحين.

ارتباط الأمن بالإيمان:

ونحن في ختام مقالنا هذا نشير إلى الفائدة العظيمة المستخلَصة من هذا المثل -وسواء كانت القرية المقصودة هي مكة أو غيرها، فإن الاعتبار والاتعاظ هو الغاية- ألا وهي ارتباط الأمن بالإيمان، بل اشتقاق الأمن من لفظ الإيمان، فلا أمن في الدنيا والآخرة إلا بالإيمان، وأعظم الأمن إنما يتحقق بإخلاص التوحيد لله رب العالمين واقرءوا إن شئتم حجة الله التي ألهمها إبراهيم على قومه حين قال: «الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ» [الأنعام: ٨٢].

والمقصود بالظلم في الآية الكريمة هو الشرك كما فسره النبي صلى الله عليه وسلم من قول العبد الصالح لقمان حين قال لابنه: «يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» [لقمان: ١٣].

ولا أكون مبالغًا إن قلت: إنه لا سلام على الأرض، ولا أمن في الدنيا والآخرة إلا بإخلاص التوحيد الذي جاء به النبي محمد صلى الله عليه وسلم ليقيم به ملة إبراهيم حنيفًا وما كان من المشركين، وهو الدين الذي ارتضاه الله ولا يقبل دينًا سواه، والحمد لله رب العالمين.



من الآداب الإسلامية

آداب الأخوة والصحبة

الحلقة الثالثة

إعداد/ سعيد عامر

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم صلِّ على محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وبعدُ:

فقد سبق الحديث عن مفهوم الأخوة ثم آداب الأخوة، وذكرت الحق الأول وهو الحب في الله والبغض في الله، ثم عن الحق الثاني، وهو سلامة الصدر وطهارة القلب، وفي هذا اللقاء نتكلم عن الحق الثالث وهو:

٣- الورع وحفظ اللسان عن الأعراض:

أ- مفهوم الورع في القول:

الأصل في الورع: الكفّ عن المحارم، والتحرج منها:

والورع: الكف عن القبيح، وقيل في الورع: هو اجتناب الشبهات؛ خوفًا من الوقوع في المحرمات، وقيل: هو ملازمة الأعمال الجميلة.

وقد جمع النبي صلى الله عليه وسلم الورع كله في كلمة واحدة، فقال: «مِن حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني.

فهذا يعم الترك لما لا يعني: من الكلام والنظر، والاستماع، والبطش والفكر، وسائر الحركات الظاهرة والباطنة، فهذه الكلمة كافية شافية في الورع.

وعند الترمذي مرفوعًا: «يا أبا هريرة، كن ورعًا تكن أعبد الناس» ابن ماجه وصححه الألباني.

وقال إسحاق بن خلف: الورع في المنطق أشد منه في الذهب والفضة.

وقال سفيان الثوري رحمه الله: ما رأيت أسهل من الورع؛ ما حاك في نفسك فاتركه.

ولذلك وجب حفظ اللسان عما يُغضب الرحمن، خاصة في حق إخوانك المسلمين.

ب- الكلمة مسئولية:

اللسان نعمة عظيمة من أجلّ نعم الله على العبد، قال الله سبحانه ممتنًا به على عباده:

«أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ» [البلد:٨، ٩]، ولذلك الخطر يكمن في إساءة استخدام هذه النعمة لغير ما خُلقت له، وسخرت له، فهو صغير حجمه، عظيم طاعته وجرمه؛ قال الله سبحانه: «مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ» [ق:١٨].

يقول الشيخ بكر أبو زيد -رحمه الله-: إن جارحة اللسان الناطق بالكلام المنوط عليه، أساس في الحياة والتعايش دينًا ودنيا، فبكلمة التوحيد يدخل المرء في ملة الإسلام، وبنقضها يخرج منها، وبين ذلك مراحل انتظمت أبواب الشريعة، فلو نظرت إلى الكلام، وما بني عليه من أحكام لوجدت من ذلك عجبًا في: الطهارة، والصلوات، وسائر أركان الإسلام، والجهاد، والبيوع، والنكاح، والطلاق، والجنايات، والحدود، والقضاء.

بل أُفردت أبواب في الفقهيات كلها لما تلفظ به هذه الأداة: اللسان: في أبواب: القذف والأيمان والنذور والشهادات، والإقرار، وفي الأصول: التوحيد.

فكم من كلام أوجب ردة فقتلًا، أو أوجب قذفًا فجلدًا، أو أوجب كفارات أو نُزعت بسببه حقوق فَرُدت مظالم إلى أهلها، أو إقرار أوجب بمفرده حقًا.

ولذا قالوا: إقرار المرء على نفسه أقوى البينات.

ولهذا تكاثرت نصوص الوحيين الشريفين في تعظيم شأن اللسان؛ ترغيبًا وترهيبًا، ففي الترغيب: الدعوة إلى الله على بصيرة، ونشر العلم بالدرس، وفضل الصدق، فكلمة الحق... إلخ.

وفي الترغيب: عن الغيبة والنميمة والكذب وآفات اللسان الأخرى، ومن هنا كان للسان في الخير مجال رحب، وله في الشرع باعٌ كبير، فمن أطلقه عذّبه اللسان، ومن أهمله فأرخى له العنان، سلك به الشيطان في كل ميدان، وساقه إلى شفا جرف هار إلى أن يضطره إلى دار البوار، ولا يكبّ الناسَ في النار على مناخرهم، إلا حصائدُ ألسنتهم، ولا ينجو من شر اللسان إلا من قيّده بلجام الشرع.

فينبغي لكل مسلم أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام: إلا كلامًا ظهرت فيه المصلحة، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة، فالسنة الإمساك عنه؛ لأنه قد يجرّ الكلام المباح إلى حرام أو مكروه.

ففي الحديث المتفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت».

وكان من هديه صلى الله عليه وسلم أن لا يذم أحدًا، ولا يعيبه، ولا يطلب عورته، ولا يتكلم إلا فيما رجا ثوابه.

وعن أبي الذيَّال قال: تعلم الصمت كما تتعلم الكلام، فإن يكن الكلام يهديك، فإن الصمت يقيك، ولك في الصمت خصلتان: تأخذ به من علم من هو أعلم منك، وتدفع به عنك من هو أجدل منك.

وقال طاووس: لساني سَبُع إن أرسلته أكلني.

وقال بعضهم: رأيت مالكًا صامتًا لا يتكلم، ولا يلتفت يمينًا ولا شمالًا إلا أن يكلمه إنسان فيسمع منه، ثم يجيبه بشيء يسير، فقيل له في ذلك، فقال: وهل يكبّ الناسَ في جهنم إلا هذا؟ وأشار إلى لسانه.

قال الله عز وجل: «قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ» [المؤمنون: ١- ٣].

ويمن الله عليهم بقوله: «وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا» [الفرقان: ٧٢]، «وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ» [الانفطار: ١٠، ١٢]، «وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا» [الإسراء: ٣٦].

«يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» [النور: ٢٤].

فإذا كان الإنسان سيحاسب على كلامه فينبغي له أن يحتاط فلا يطلق لسانه، بل يجب عليه أن يمسك عليه لسانه، فلا يتكلم إلا بالخير، «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا

سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ» [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

وحين سُئل صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس النار؟ قال: «الفم والفرج» [الترمذي وحسنه الألباني].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إنّ العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب».

وفي رواية: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يُلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم» رواه البخاري.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ومن العجب أن الإنسان يهون عليه التحفظ والاحتراز من أكل الحرام، والظلم والزنا، والسرقة، وشرب الخمر، ومن النظر المحرم وغير ذلك، ويصعب عليه التحفظ من حركة لسانه، حتى ترى الرجل يُشار إليه بالدين والزهد والعبادة، وهو يتكلم بالكلمات من سخط الله لا يلقي لها بالاً، يزل بالكلمة الواحدة منها أبعد مما بين المشرق والمغرب، وكم ترى من رجل متورع عن الفواحش والظلم ولسانه يفري في أعراض الأحياء والأموات، ولا يبالي ما يقول.

ثم قال: إن بعض الناس لا تراه إلا منتقدًا ينسى حسنات الطوائف والأجناس، ويذكر مثالبهم، فهو مثل الذباب يترك موضع البُر والسلامة، ويقع على الجراح والأذى، وهذا من رداءة النفوس، وفساد المزاج.

وقد أحسن من قال:

احفظ لسانك أيها الإنسان
لا يلدغنك إنه ثعبان
كم في المقابر من لديغ لسانه
كانت تهابُ نزاله الشجعان

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله يرضى لكم ثلاثًا ويكرهُ لكم ثلاثًا، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال» رواه مسلم.

ورُوي عن أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل كلام ابن آدمَ عليه، لا له، إلا أمرٌ بمعروف، أو نهي عن منكر، أو ذكرٌ لله». الترمذي، وقال: حسن غريب، وابن ماجه، وضعفه الألباني.

فمن حق أخيك المسلم عليك إن لم تستطع أن تنفعه بمالك، أن تكفّ عنه لسانك، وهذا أضعف الإيمان، فعليك أيها المسلم أن تتورع في القول، فهذا من حق أخيك عليك، قال الله عز وجل: « إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ» [النور: ١٩].

وقال تبارك اسمه: «إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ» [النور: ٢٣-٢٥].

أخي الكريم... أمسك عليك لسانك، تورع عن العلماء، وعن الخوض في أعراض كواكب الأمة، تورع عن الخوض في أعراض الناس، فعن أبي موسى قال: سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي المسلمين أفضل؟ قال: «من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده» متفق عليه.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله رَدغة الخَبَال». قالوا: يا رسول الله، وما ردغة الخبال؟ قال: «عُصارةُ أهل النار حتى يخرج مما قال وليس بخارج» [رواه الطبراني وأبو داود والحاكم وقال صحيح الإسناد، وقال الشيخ الألباني بمجموع طرقه صحيح].

وللحديث بقية في الكف عن أذية الخلق باللسان، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله.

باب التراجم

الخليفة الراشد أبو بكر الصديق رضي الله عنه

إعداد/ صلاح نجيب الدق

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، والصلاة والسلام على نبينا محمد الذي بعثه الله هاديًا ومبشرًا ونذيرًا وداعيًا إليه بإذنه وسراجًا منيرًا.

أما بعد: فإن لأبي بكرٍ الصديق رضي الله عنه منزلة كبيرة في تاريخ الإسلام وقلوب المسلمين الصادقين، وهو أحد أصحاب نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذين مدحهم الله تعالى في كتابه العزيز قائلًا: ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوا وَّنَصَرُوٓا أُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ (الأنفال:٧٤)، ولذا أحببت أن أذكر نفسي وإخواني الكرام بشيء موجز عن سيرته المباركة، فأقول وبالله التوفيق:

اسم أبي بكر ونسبه رضي الله عنه:

عبد الله بن عثمان (أبو قُحافة) بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرَّة بن كعب بن لؤي، يلتقي مع النبي صلى الله عليه وسلم في جده مرَّة بن كعب.

والدة أبي بكر رضي الله عنه:

هي أم الخير، سلمى بنت صخر بن عامر، أسلمت وهاجرت وماتت وهي مسلمة. (انظر: الطبقات لابن سعد جـ٣ ص١٢٦ والإصابة جـ٢ صـ٣٣٣)

ميلاد أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

وُلد أبو بكر رضي الله عنه بعد عام الفيل بسنتين وستة أشهر في مكة، ونشأ بها، وكان لا يخرج إلا للتجارة. (الإصابة جـ٢ صـ٣٣٣).

زوجات أبي بكر وأولاده:

كان لأبي بكر رضي الله عنه أربع زوجات، وله ثلاثة أولاد، وهم عبد الله وعبد الرحمن ومحمد، وثلاث بنات وهن: أسماء وعائشة وأم كلثوم. (تاريخ الطبري جـ٢ صـ٣٥١).

لقب أبي بكر رضي الله عنه:

يُلَقَّبُ بالصِّدِّيق، قيل: كان يلقب به في الجاهلية لما عُرف منه من الصدق، وقيل لمبادرته إلى تصديق النبي صلى الله عليه وسلم فيما كان يخبر به عن الله تعالى، وأول ما اشتهر به صبيحة الإسراء. (تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٨- ٢٩، فتح الباري لابن حجر جـ٧صـ ١١).

منزلة أبي بكر رضي الله عنه في الجاهلية:

كان أبو بكر من رؤساء قريش في الجاهلية، ومن أهل مشاورتهم، وكان محببًا إليهم، وأعلم بأنسابهم، وكان إليه أَمْرُ الدِّيات

والغُرم. (تاريخ الخلفاء للسيوطي صـ ٣٠).

إسلام أبي بكر رضي الله عنه:

كان أبو بكر رضي الله عنه أول من أسلم من الرجال، ثم أخذ يدعو إلى الإسلام، فأسلم على يديه عدد كبير؛ منهم خمسة من العشرة المبشرين بالجنة وهم: عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله. (سيرة ابن هشام جـ١ صـ٢١٢).

أبو بكر يتحمل الأذى في سبيل الله:

لمَّا عزم أبو بكر رضي الله عنه على الهجرة إلى الحبشة، لقيه ابن الدَّغنة، سيد الأحابيش، فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ قال: أخرجني قومي، فأريد أن أسيح في الأرض فأعبد ربي، فقال ابن الدَّغنة: إن مثلك يا أبا بكر لا يُخرَج، فإنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكلَّ، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، ثم أجاره، ورجع معه أبو بكر إلى قريش، فأخذ أبو بكر يعبد ربه ثم ابتنى مسجدًا بفناء بيته، فكان حينما يصلي ويجهر بالقراءة يجتمع عليه نساء المشركين وأولادهم ويعجبون بذلك، فخشي المشركون ذلك، وطلبوا من ابن الدَّغنة أن يمنع أبا بكر من الجهر بتلاوة القرآن أو يرد عليه جواره، فرفض أبو بكر وردَّ عليه جواره، فأخذ المشركون يضربون أبا بكر حتى خرج إلى الكعبة، فقام أحد السفهاء بوضع التراب على رأس أبي بكر، فأخذ أبو بكر يقول للوليد بن المغيرة: انظر ماذا يفعل هذا السفيه، فيقول له: أنت الذي فعلت ذلك بنفسك، فأخذ أبو بكر يقول: أي رب ما أحلمك، أي رب ما أحلمك، أي رب ما أحلمك! (سيرة ابن هشام جـ ١ صـ ٣٠٥: ٣٠٦، وحلية الأولياء جـ١ صـ ٢٩).

جهاد أبي بكر رضي الله عنه:

جاهد أبو بكر رضي الله عنه بنفسه وماله في سبيل الله، فقد شهد جميع الغزوات مع النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يملك يوم أسلم أربعين ألف درهم، فكان يعتق منها ويقوِّي المسلمين. (صفة الصفوة جـ١ صـ ٢٤٢)

عن عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ قال: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم أَنْ نَتَصَدَّقَ فَوافَقَ ذَلِكَ عِنْدِي مَالًا فَقُلْتُ الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، قَالَ: فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ: رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ قُلْتُ مِثْلَهُ وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ، قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا». (صحيح الترمذي للألباني حديث ٢٩٠٢). وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:» مَا نَفَعَنِي مَالُ أَحَدٍ قطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ.» (صحيح الترمذي للألباني حديث ٢٨٩٤).

أعتق أبو بكر رضي الله عنه سبعةً كلهم يُعَذَّب في الله، منهم بلال، وعامر بن فهيرة. (سيرة ابن هشام جـ١ صـ٢٦٣)

مناقب أبي بكر رضي الله عنه:

١. عن أنس عَنْ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه قَالَ: «قُلْتُ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَأَنَا فِي الْغَارِ: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا فَقَالَ: مَا ظَنُّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا» (البخاري ٣٦٥٣، ومسلم ٢٣٨١).

٢. عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:» إِنَّ مِنْ أَمَنِّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبَا بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا غَيْرَ رَبِّي لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ لَا يَبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ.» (البخاري حديث٢٦٥٤).

٣. عن عَمْرو بْن الْعَاص رضي الله عنه عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: «أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: عَائِشَةُ، فَقُلْتُ: مِنْ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: أَبُوهَا، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَعَدَّ رِجَالًا.» (البخاري حديث٣٦٦٢ ومسلم حديث٢٣٨٤)

٤. عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رضي الله عنه:»أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم صَعِدَ أُحُدًا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ فَرَجَفَ بِهِمْ فقال صلى الله عليه وسلم: اثْبُتْ أُحُدُ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ وَصِدِّيقٌ وَشَهِيدَانِ.» (البخاري حديث٣٦٧٥).

٥. عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه قَالَ: «كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذْ طَلَعَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: هَذَانِ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ إِلَّا النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ» (صحيح الترمذي للألباني حديث٢٨٩٧).

٦. عَنْ عَائِشَةَ رضيَ الله عنها: «أَنَّ أَبَا بَكْرٍ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: أَنْتَ عَتِيقُ اللَّهِ مِنْ النَّارِ فَيَوْمَئِذٍ سُمِّيَ: عَتِيقًا» (صحيح

الترمذي للألباني ٢٩٠٥).

أبو بكر رَجُل المواقف:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَاتَ وَأَبُو بَكْرٍ بِالسُّنْحِ (مكان)، فَقَامَ عُمَرُ يَقُولُ: وَاللَّهِ مَا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَتْ: وَقَالَ عُمَرُ وَاللَّهِ مَا كَانَ يَقَعُ فِي نَفْسِي إِلَّا ذَاكَ، وَلَيَبْعَثَنَّهُ اللَّهُ فَلَيَقْطَعَنَّ أَيْدِيَ رِجَالٍ وَأَرْجُلَهُمْ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ فَكَشَفَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَبَّلَهُ، قَالَ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي طِبْتَ حَيًّا وَمَيِّتًا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يُذِيقُكَ اللَّهُ الْمَوْتَتَيْنِ أَبَدًا، ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: أَيُّهَا الْحَالِفُ (يعني عمر) عَلَى رِسْلِكَ.. فَلَمَّا تَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ جَلَسَ عُمَرُ، فَحَمِدَ اللَّهَ أَبُو بَكْرٍ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: أَلَا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ، وَقَالَ: «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ»، وَقَالَ: «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ» [آل عمران: ١٤٤]، قَالَ: فَنَشَجَ النَّاسُ يَبْكُونَ.»(البخاري حديث ٣٦٦٧، و ح٣٦٦٨).

استخلاف أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

عن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: «أَتَتْ امْرَأَةٌ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، قَالَتْ: أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ (كَأَنَّهَا تَقُولُ الْمَوْتَ)، قَالَ: إِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ» (البخاري حديث٣٦٥٩، ومسلم حديث٢٣٨٦).

عَنْ عَائِشَةَ رضيَ الله عنها قَالَتْ: «قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي مَرَضِهِ: ادْعِي لِي أَبَا بَكْرٍ أَبَاكِ وَأَخَاكِ حَتَّى أَكْتُبَ كِتَابًا، فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَتَمَنَّى مُتَمَنٍّ، وَيَقُولُ قَائِلٌ: أَنَا أَوْلَى، وَيَأْبَى اللَّهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ» (مسلم حديث٢٣٨٧).

عن عائشة أنها سُئِلَتْ: مَنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مُسْتَخْلِفًا لَوْ اسْتَخْلَفَهُ؟ قَالَتْ: أَبُو بَكْرٍ، فَقِيلَ لَهَا: ثُمَّ مَنْ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ؟ قَالَتْ: عُمَرُ، ثُمَّ قِيلَ لَهَا: مَنْ بَعْدَ عُمَرَ؟ قَالَتْ: أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، ثُمَّ انْتَهَتْ إِلَى هَذَا.» (مسلم حديث٢٣٨٥)

الخليفة الراشد رضي الله عنه:

أجمع الصحابة على خلافة أبي بكر يوم الاثنين، الثاني عشر من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة في سقيفة بني ساعدة، فلما كان من الغد، جلس على المنبر، ليبين للناس المنهج الذي سوف يسير عليه في خلافته فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس فإني قد وُليتُ عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أعيد الحق له إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يَدَعُ قومٌ الجهاد في سبيل الله إلَّا ضَرَبَهمُ اللهُ بالذل، ولا تشيعُ الفاحشة في قوم قط إلَّا عمَّهم اللهُ بالبلاء. أطيعوني ما أطعتُ اللهَ ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم. (الطبقات لابن سعد جـ٣ صـ١٣٦، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص٦٤).

تواضع أبي بكر رضي الله عنه بعد الخلافة:

كان أبو بكر رضي الله عنه يحلب للحي أغنامهم، فلما بُويع له بالخلافة قالت جارية من الحي: الآن لا يَحلبُ لنا منائح دارنا، فسمعها أبو بكر، فقال: بلى لأحلبنها لكم، وإني لأرجو أن لا يغيرني ما دخلت فيه عن خُلُقٍ كنت عليه، فكان يحلب لهم. (الطبقات لابن سعدٍ جـ ٣ صـ ١٣٨: ١٣٩).

.كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يتعهد عجوزاً كبيرة عمياء في بعض نواحي المدينة بالليل، فيسقي لها، ويقوم بأمرها، فكان إذا جاءها وجد غيره قد سبقه إليها، فأصلح ما أرادت، فجاءها غير مرة كيلا يُسبقَ إليها، فرصده عمر، فإذا هو أبو بكر الصديق، الذي يأتيها وهو يومئذٍ خليفة. (تاريخ الخلفاء للسيوطي صـ ٧٥).

علمُ أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

كان أبو بكر الصديق أكثر الصحابة علمًا وذكاءً. روى الشيخان عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: «خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم النَّاسَ وَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ ذَلِكَ الْعَبْدُ مَا عِنْدَ اللَّهِ، قَالَ: فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه فَعَجِبْنَا لِبُكَائِهِ أَنْ يُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ عَبْدٍ خُيِّرَ فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ هُوَ الْمُخَيَّرَ وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا.» (البخاري حديث٣٦٥٤، ومسلم حديث٢٣٨٢)

عن أبي هريرة أن أبا بكر رضي الله عنه قال: [وَاللَّهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهَا، قَالَ عُمَرُ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ أَنْ قَدْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ

للقتال (أي لقتال المرتدين) فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ. (البخاري حديث١٤٠٠، ومسلم حديث٢٠).

×قال النووي رحمه الله: استدل أصحابنا على عظم علم أبي بكر الصديق، بهذا الحديث. (تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٣٨).

وروى ابن الأثير بسنده عن عكرمة بن خالد، عن عبد الله بن عمر بن الخطاب أنه سُئل: من كان يفتي الناس في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: أبو بكر وعُمَر، ما أعلمُ غيرهما. (أُسدُ الغابة لابن الأثير جـ٣ صـ٢١٩).

عدد أحاديث أبي بكر رضي الله عنه:

قال النووي رحمه الله: روى الصديق رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة حديث واثنين وأربعين حديثًا، وسبب قلة روايته - مع تقدم صحبته وملازمته للنبي صلى الله عليه وسلم - أنه تقدمت وفاته قبل انتشار الأحاديث، واعتناء التابعين بسماعها وتحصيلها وحفظها. (تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٨١).

أعمال أبي بكر في خلافته:

إن لأبي بكر الصديق أعمالًا كثيرة في فترة خلافته القصيرة من أهمها:

١. محاربة المرتدين والقضاء عليهم، وإعادة الأمن والاستقرار للدولة الإسلامية. (البخاري حديث٦٩٢٥،٦٩٢٤).

٢. جمع القرآن الكريم في مصحف واحد. (البخاري حديث٤٩٨٦).

٣. إرسال جيش أسامة بن زيد بن حارثة لمحاربة الروم؛ تنفيذًا لوصية النبي صلى الله عليه وسلم. (البداية والنهاية لابن كثير جـ٦ صـ٣٠٨ /فتح الباري جـ٧ صـ ٧٠:٥٨).

عفو أبو بكر الصديق:

كان أبو بكر ينفق على مِسْطح بن أُثاثة لفقره وقرابته منه، وكان مِسْطح من الذين خاضوا في حادث الإفك، وتكلم في عِرض عائشة، فلما عَلِمَ أبو بكر بذلك، أقسم ألا ينفق عليه بعد ذلك، فأنزل الله تعالى: (وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) (النور:٢٢) فقال أَبُو بَكْرٍ: بَلَى وَاللَّهِ يَا رَبَّنَا، إِنَّا لَنُحِبُّ أَنْ تَغْفِرَ لَنَا، وَعَادَ لمسطح بِمَا كَانَ يَصْنَعُ. (البخاري حديث ٤٧٥٧).

أبو بكر يستخلف عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

لما شَعَر أبو بكر الصدِّيق رضي الله عنه باقتراب أجله استشار عبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب وسعيد بن زيد وأسيد بن حضير، وغيرهم من المهاجرين والأنصار، في استخلافه لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأثنوا عليه خيرًا، ثم أوصى عمر بتقوى الله. (تاريخ الخلفاء ص٧٦: ٧٧، وحلية الأولياء جـ١ صـ٣٦: ٣٧).

وصية أبي بكر الصديق وحُسنُ خاتمته رضي الله عنه:

قالت عائشة رضي الله عنه لمَّا مَرِض أبو بكر، مرضه الذي مات فيه، قال: انظروا ما زاد في مالي منذ دخلت الإمارة، فابعثوا به إلى الخليفة من بعدي، فنظرنا فإذا عبدٌ نوبي كان يحملُ صبيانه، وإذا ناضحٌ - بعير. كان يسقي بستانًا له، فبعثنا بهما إلي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فبكى عمر، وقال: رحمة الله علي أبي بكر، لقد أتعب من بَعْدَه تعبًا شديدًا. (الطبقات لابن سعد جـ٣ صـ١٤٣).

وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

مات أبو بكر الصديق رضي الله عنه ليلة الثلاثاء، بين المغرب والعشاء لثمان ليالٍ بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة، وهو ابن ثلاث وستين سنة، وأوصى أن تغسله زوجته أسماء بنت عميس، ويساعدها ابنه عبد الرحمن، وأوصى أن يُدفن بجوار رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصَلَّى عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ودُفِنَ ليلًا رضي الله عنه. وكانت مدة خلافة أبى بكر رضي الله عنه سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليالٍ. (الطبقات لابن سعد جـ٣صـ١٥٠: ١٥٧).

رَحِمَ اللهُ أبا بكر الصديق رحمةً واسعةً، وجزاه الله عن الإسلام خير الجزاء. نسأل الله تعالى أن يجمعنا بأبي بكر الصديق في الفردوس الأعلى من الجنة، بحبنا له، وإن لم نعمل بمثل عمله، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تحذير الداعية من القصص الواهية

المؤاخاة بين النبي صلى الله عليه وسلم وعلي رضي الله عنه في الهجرة

إعداد/ علي حشـيش

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة القصاص والوعاظ، واغتر الكثيرون بها لوجودها في كتب السنة الأصلية، وروّج لها الرافضة في كل مكان ومقال، خاصة في الهجرة، في المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار؛ ليجعلوا من هذه القصة الواهية قصة المؤاخاة بين النبي صلى الله عليه وسلم وعلي رضي الله عنه مؤاخاة غير المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وهذا الإطراء من الرافضة لعلي رضي الله عنه سنبين حقيقته.

ولقد بيّنا من قبل في هذه السلسلة كثيرًا من القصص الواهية المتعلقة بالهجرة والتي اشتهرت وانتشرت ويكثر ذكرها في كل عام عند بدء العام الهجري في الصحف والإذاعات والقنوات والخطب والمحاضرات، ومنها حتى يتذكر القارئ الكريم، وليأخذ حذوه منها فلا يغرنه تقلب هذه القصص الواهية.

قصة «ثعبان الغار».

قصة «عنكبوت الغار والحمامتين».

وقصة «غناء بنات النجار في الهجرة».

وقصة «لطم أبي جهل لأسماء بنت أبي بكر في الهجرة».

وقصة «أبي طالب في الهجرة ووصيته للنبي».

وقصة «اللجوء إلى الغار عند الشدائد».

وقصة «تحكيم إبليس في دار الندوة».

وقصة «ثبوت المشرك عند الغار».

وقصة «صعود أبي بكر رضي الله عنه إلى الغار وهو يحمل النبي صلى الله عليه وسلم على عاتقه».

وقصة «النهر الذي خُرق من جنة الفردوس إلى صدر الغار».

ثم هذه القصة: «قصة المؤاخاة بين النبي صلى الله عليه وسلم وعليّ رضي الله عنه في الهجرة».

وإلى القارئ الكريم تخريج وتحقيق هذه القصة.

أولاً: متن القصة:

رُوي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه، فجاء عليٌّ تدمع عيناه، فقال: يا رسول الله، آخيت بين أصحابك ولم تؤاخِ بيني وبين أحد. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنت أخي في الدنيا والآخرة». اهـ.

ثانيًا: التخريج:

أخرج هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة الواهية الإمام الترمذي في «السنن» (٥/٥٩٥) (ح٣٧٢٠) قال: حدثنا يوسف بن موسى القطان البغدادي، حدثنا علي بن قادم حدثنا علي بن صالح بن حيي عن حكيم بن جُبير، عن جميع بن عمير التيمي عن ابن عمر قال: آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه...» القصة.

ثالثًا: علة هذا الخبر هو جُميع بن عُمير:

١- قال الإمام البخاري في «التاريخ الكبير» (٢٣٢٨/٢٤٢/٢/١): «جُميع بن عمير التيمي من تيم الله، يعد في الكوفيين، سمع ابن عمر وعائشة، روى عنه العلاء بن صالح، وصدقة بن المثنى.. فيه نظر». اهـ.

قلت: وهذا المصطلح عند البخاري له معناه، وهذا من دقيق فقه هذه الصنعة؛ حيث قال الحافظ ابن حجر في «هدي الساري» (ص٥٠٤): «وللبخاري في كلامه على الرجال توقٍّ زائد، وتحرٍّ بليغ، يظهر لمن تأمل كلامه في الجرح والتعديل، فإن أكثر ما يقول: سكتوا عنه، فيه نظر، تركوه، ونحو هذا». اهـ.

ولقد نبه الإمام السيوطي على ذلك في «تدريب الراوي» (٣٤٩/١) حيث قال في «التنبيهات»: «التنبيه الأول: البخاري يطلق: فيه نظر، وسكتوا عنه فيمن تركوا حديثه، ويطلق منكر الحديث على من لا تحل الرواية عنه». اهـ.

٢- قال الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل في ضعفاء الرجال» (١٦٦/٢) (٣٥٤/٢٩): «سمعت ابن حماد يقول قال البخاري: جميع بن عمير التيمي من

تيم الله...» قوله الذي ذكرناه آنفًا.
ثم أقره ابن عدي فقال: «وهذا الذي قاله البخاري كما قال: في حديثه نظر، وقد روى عن جميع بن عمير غير من ذكرهم البخاري، حكيم بن جبير، وكثير النواء، وسالم بن أبي حفصة، وغيرهم عن ابن عمر أحاديث في فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
ثم أخرج خبر هذه القصة فقال: حدثنا الحسين بن إسماعيل الرملي، حدثنا أحمد بن محمد بن سوادة، حدثنا عمرو بن عبد الغفار عن علي بن صالح بن جني، حدثني حكيم بن جبير، عن جميع بن عمير عن ابن عمر قال: «آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه فجاء علي...» القصة.
٣- قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٢١٨/١): «جميع بن عمير التيمي من تيم الله بن ثعلبة من أهل الكوفة، يروي عن ابن عمر وعائشة، روى عنه العلاء بن صالح وصدقة بن المثنى، كان رافضيًا يضع الحديث، حدثنا مكحول ببيروت سمعت جعفر بن أبان الحافظ يقول: سمعت ابن نمير يقول: جميع بن عمير من أكذب الناس». اهـ.
قلت: فالخبر الذي جاءت به هذه القصة موضوع.
قال السيوطي في «التدريب» (٢٧٤/١): «الموضوع هو الكذب المختلق الموضوع، وهو الضعيف وأقبحه، وتحرم روايته مع العلم بوضعه في أي معنى كان، سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها إلا مقرونًا ببيان وضعه؛ لحديث مسلم: «من حدَّث عني بحديث يُرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين»». اهـ.

رابعًا: طرق أخرى للقصة:

لقد أوردنا الطريق الأول وبيناها آنفًا: طريق حكيم بن جبير، عن جميع بن عمير، عن ابن عمر مرفوعًا: أخرجه الترمذي في «السنن» (٥٩٥/٥) (ح٣٧٢٠)، وابن عدي في «الكامل» (١٦٦/٢) (٣٤٥/٢٩)، والحاكم في «المستدرك» (١٤/١٣).
الطريق الثاني عن كثير النواء عن جميع بن عمير، عن ابن عمر مرفوعًا أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١٦٦/٢).
الطريق الثالث عن إسحاق بن بشر الكاهلي عن محمد بن فضيل عن سالم بن أبي حفصة عن جميع بن عمير التيمي عن ابن عمر رضي الله عنه مرفوعًا. أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١٤/٣).
من جمع هذه الطرق يتبين:
أ- أنها تدور حول جميع بن عمير، وقد عُلم حاله بأنه رافضي يضع الحديث، حتى قال ابن نمير كما بينا آنفًا: «جميع بن عمير من أكذب الناس».
ب- أن القصة مشهورة شهرة نسبية عن جميع بن عمير؛ حيث رواها عنه حكيم بن جبير، وكثير النواء، وسالم بن أبي حفصة.
جـ- أن حكيم بن جبير تابعه متابعة تامة كثير النواء، وسالم بن أبي حفصة.

خامسًا: تعقب المباركفوري للترمذي:

قال الإمام الترمذي في «السنن» (٥٩٥/٥) (ح٣٧٢٠) بعد إخراجه للخبر الذي جاءت به القصة: «هذا حديث حسن غريب». فتعقبه الإمام المباركفوري في «تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي» (٢٣٣/٩) فقال: «في سنده حكيم بن جبير، وهو ضعيف ورُمي بالتشيع». اهـ.
قلت: وتعقب الإمام المباركفوري للإمام الترمذي فيه نظر:
١- لاقتصاره في تضعيف الخبر الذي جاءت به القصة على حكيم بن جبير وهو لم يتفرد به عن جُميع، بل تابعه عليه كثير النواء، وسالم بن أبي حفصة.
٢- قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٢٧٩/١): «سالم بن أبي حفصة العجلي، أبو يونس الكوفي، صدوق في الحديث إلا أنه شيعي غال». اهـ.
٣- قول المباركفوري: «حكيم بن جبير ضعيف»، وحكيم بن جبير تابعه سالم بن أبي حفصة في روايته عن جميع بن عمير، وسالم صدوق فيتوهم كثير من الذين يدرسون المصطلح من أصل ونظم ومختصر أن الطريق الذي فيه الراوي الذي قال عنه المباركفوري: ضعيف يقويه الراوي الصدوق الذي تابعه متابعة تامة.
٤- والمتبحر في هذه الصناعة يرى أن تعقب المباركفوري للإمام الترمذي فيه قصور في أمرين:
الأول: عدم ذكره للعلة الأساسية، وهو جميع بن عمير الرافضي الوضاع، وهو من أكذب الناس، فلا يُتَابَع على حديثه، وعدم المتابعة على حديث جُميع بيّنها الحافظ الإمام ابن عدي بعد أن ذكر خبر القصة قال: «ولجميع بن عمير غير ما ذكرته

عن ابن عمر... وعامة ما يرويه أحاديث لا يُتابعه غيره عليه». اهـ.

الثاني: قول الإمام المباركفوري: «حكيم بن جبير ضعيف» لم يبين فيه درجة الضعف، وهذا عند المتبحر في هذه الصناعة أمر مهم؛ حيث قال السخاوي في «فتح المغيث» (٢٤١/١): «فإن يكن ذلك الراوي شورك من راو معتبر به: بأن لم يُتَّهَم بكذب وضُعِّف إما بسوء حفظه، أو غلطه، أو نحو ذلك حسبما يجيء إيضاحه في مراتب الجرح والتعديل، أو ممن فوقه في الوصف من باب أولى، فهو تابع حقيقة». اهـ.

قلت: مما أوردناه يتبين أهمية معرفة درجة ضعف الراوي، حتى نقف على حقيقة الراوي، خاصة إذا كان متابعًا أو تابعًا لنعرف هل الراوي معتبر به ليكون تابعًا حقيقة، أو غير معتبر به فيكون تابعًا ظاهريًا لا يؤثر في درجة الحديث.

سادسًا: بيان درجة ضعف حكيم بن جبير:

قال الإمام ابن عدي في «الكامل» (٢١٦/٢) (٤٠٢/٣٣):

١- «سمعت بن حماد يقول: قال سمعت ابن حماد يقول: قال السعدي: حكيم بن جبير كذاب». اهـ.

٢- قال ابن عدي: «حدثنا ابن حماد وابن أبي بكر قالا: حدثنا عباس قال: سمعت يحيى يقول: حكيم بن جبير ليس بشيء.

٣- وأورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٢٢١٥/٥٨٤/١) ونقل عن الجوزجاني أنه قال: «حكيم بن جبير كذاب». اهـ.

قلت: وبهذا يتبين أن حكيم بن جبير كذاب ليس بشيء، فأين هذا البيان من تعقب المباركفوري للإمام الترمذي بقوله: «حكيم بن جبير ضعيف»، والضعف عند المتبحر في هذه الصناعة يتفاوت، ولقد بيّن ذلك الحافظ ابن كثير في «اختصار علوم الحديث» المشهور «الباعث الحثيث» (ص٣٣) حيث قال: «لا يلزم من ورود الحديث من طرق متعددة أن يكون حسنًا؛ لأن الضعف يتفاوت، فمنه ما لا يزول بالمتابعات يعني لا يؤثر كونه تابعًا أو متبوعًا كرواية الكذابين والمتروكين». اهـ.

قلت: وبهذا يتبين أن هذا الطريق تالف لا يصلح للمتابعات ولا الشواهد.

الطريق الثاني: وهو طريق كثير النواء عن جميع بن عمير عن ابن عمر مرفوعًا هذا الطريق تالف من الأصل بالعلة الأساسية جميع بن عمير الكذاب، أما هذا الطريق فيضعف أيضًا بكثير النواء، ولقد أورده الإمام الذهبي في «الميزان» (٦٩٣٠/٤٠٢/٣) وقال: «كثير بن إسماعيل النواء أبو إسماعيل شيعي جلد ضعفه أبو حاتم، والنسائي، وقال ابن عدي: مفرط في التشيع، وقال السعدي: زائغ». اهـ.

الطريق الثالث: طريق سالم بن أبي حفصة عن جميع بن عمير التيمي عن ابن عمر مرفوعًا. وهذا الطريق تالف أيضًا من الأصل بالعلة الأساسية جميع بن عمير الكذاب الرافضي، فلا يغتر من لا دراية له معتمدًا على تحقيق المباركفوري في شرحه لسنن الترمذي للقصور الشديد كما بيناه آنفًا، واقتصاره على حكيم بن جبير، وقصوره الشديد لعدم بيان درجة ضعفه.

ولا يغتر من لا دراية له بدقيق فقه هذه الصنعة بقول الحافظ ابن حجر في سالم بن أبي حفصة صدوق؛ فالطريق إليه تالف، حيث إن فيه إسحاق بن بشر الكاهلي، يبين ذلك الإمام الذهبي في «الميزان» (٧٤٠/١٨٦/١) قال: إسحاق بن بشر بن مقاتل أبو يعقوب الكاهلي الكوفي، قال مُطين: «ما سمعت أبا بكر بن أبي شيبة كذّب أحدًا إلا إسحاق بن بشر الكاهلي، وكذا كذّبه موسى بن هارون وأبو زُرعة.

وقال الفلاس وغيره: متروك، قال الدارقطني: هو في عداد من يضع الحديث. اهـ.

قلت: وقال ابن عدي في «الكامل» (٣٤٢/١) (١٧٢/١٧٢): بعد أن ذكر أحاديث من مناكيره قال: «إسحاق بن بشر الكاهلي، قد روى غير هذه الأحاديث، وهو في عداد من يضع الحديث». اهـ.

قلت: يتبين عن هذا التحقيق أن الخبر الذي جاءت به هذه القصة قصة المؤاخاة بين النبي صلى الله عليه وسلم وعليّ رضي الله عنه في الهجرة خبر تالف بجميع طرقه من كذابين ومتروكين زائفين مفرطين في التشيع.

فلا يغتر أحد بكثرة الطرق، وليعلم أن تقوية الحديث بكثرة الطرق ليس على إطلاقه، ولا بد من جمع الطرق والتدقيق عند التحقيق في معرفة درجة ضعف الرواة، كما بينا آنفًا؛ حيث يتبين أن طرق القصة لا تقوى بها، بل تزيدها وهنًا على وهن، وبسبب عدم معرفة هذه القاعدة زلت أقدام وضلت أفهام؛ فتأمل لتسلم في الإسناد والاعتقاد.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.



المذهب الوسطي لأبي الحـ

موافقة الأشعري ـ في إثبات صفات الخالق دون ما تفويض ولا تأويل ـ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعد:

فإن أمر إثبات الصفات دون ما تشبيه أو تجسيم أو تمثيل، ولا تفويض لمعانيها ولا تأويل، ولا تكييف لها ولا تعطيل، ولا صرف لها عن ظاهرها إلى المجاز.. لم يكن أبو الحسن الأشعري فيه بدعًا من سائر أهل التحقيق من علماء المسلمين وأئمتهم.

وقد رأينا كيف أنه رجع بهذا المعتقد الصحيح في توحيد الصفات عما كان عليه من قبل، برؤيا صالحة وبإيعاز من النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا بحد ذاته يعد كرامة له، ومباركة من النبي صلى الله عليه وسلم للسير قدمًا على نهج العقيدة الصحيحة، وبشارة لأمته بضرورة أن تموت عليها وتحيا عليها دون أن تبغي بها بدلًا أو عنها حولًا، لاسيما وأن رؤياه صلى الله عليه وسلم حق، وأن الشيطان لا يتمثل في صورته.

والحق أن كتب السنة والاعتقاد مليئة بأحاديثه صلى الله عليه وسلم المتعلقة بالكلام عن ثبوت علوه تعالى وفوقيته ونزوله وضحكه، ويده وعينيه وأصبعه وقدمه.. إلى غير ذلك مما وصف الله تعالى به نفسه من الصفات الفعلية والخبرية، بل ومليئة بذكر أبواب بأكملها بُوبت لكل صفة منها على حدة، وفيها جميعًا - من التدليل على صحة ما رجع إليه الأشعري وتلقاه الصحابة وعموم سلف الأمة عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك - ما يكفي وما به تقام الحجة الرسالية على المفوِّضة والمؤولة.

الأسماء والصفات عند المحدثين:

لقد بوب المحدثون في كتبهم لأحاديث الصفات بما يفيد إثباتها، والوقوف على دلالاتها، وتفويض كيفياتها إليه تعالى، فذكر البخاري في آخر صحيحه في (كتاب التوحيد) ضمن ما ذكر: باب قول الله عز وجل: (تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ) (المائدة/ ١١٦)، وباب قوله: (كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ) (القصص/ ٨٨)، وباب قوله: (وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ) (طه/ ٣٩)، وباب قوله: (لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ) (ص/٧٥)، وباب قول النبي: (لا شخص أغير من الله)، وباب قوله تعالى: (وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ) (هود/٧)، وباب قوله: (إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ) (فاطر/ ٤١).. إلخ.

يذكر في كل باب مجموعة من الأحاديث التي فيها الصفة التي بوّب لها، بما يفيد إثباتها لله تعالى، وإمرارها دون تكييف في كنهها، ولا تأويل أو تفويض في دلالاتها.. وكذا فعل مسلم في صحيحه والنسائي في سننه، وأحمد في المسند، وغيرهم من أصحاب السنن والمسانيد.

وبنحو ما فعل المحدثون فعل الذين صنّفوا في العقيدة من المتقدمين، فذكروا الأحاديث والآثار التي تتعلق بالصفات ضمن أبواب في رسائلهم وكتبهم، حتى إن بعضهم كابن خزيمة أطلق على كتابه اسم: (كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل)، وضمنه بابًا في (إثبات الوجه لله)، وبابًا في (إثبات العين لله جل وعلا)، وبابًا في (إثبات اليد للخالق جل وعلا)، وبابًا في (إثبات الأصابع لله عز وجل)، وبابًا في (ذكر إثبات الرِّجل لله عز وجل)، وبابًا في (ذكر استواء خالقنا العليّ الأعلى)، وبابًا في (بيان أن الله عز وجل في السماء)، وبابًا في (أخبار نزول الرب إلى السماء)، وبابًا في (إثبات ضحك ربنا عز وجل)..

وبمثله فعل البيهقي؛ حيث ذكر ضمن ما ذكر (باب في إثبات صفة الوجه.. العين.. اليدين.. باب ما ذكر في اليمين والكف.. في الأصابع.. في الساعد والذراع.. في الساق.. في الضحك.. في الغيرة.. في التقرب والإتيان والهرولة.. إلخ).

مصنفات في العقيدة السلفية:

ومن المصنفات التي جاءت على هذه الوتيرة مما صُنف في العقيدة السلفية: كتاب (الرد على

...سن الأشعري في توحيد الصفات

إعداد/ د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الجهمية) للدارمي، ونحوه للإمام أحمد بن حنبل، وكتاب (السنة) لكل من عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل، وابن أبي عاصم، وأبي بكر الخلال، وأبي بكر الأثرم، وكتاب (الشريعة) للآجري، وكتابا (الإبانة الصغرى والكبرى) لابن بطة، و(الصفات) للدارقطني، وكتابا (التوحيد) و(الإيمان) لابن منده، وكتاب (شرح أصول السنة) للالكائي، وكتابا (الاعتقاد) و(الأسماء والصفات) للبيهقي، و(النصيحة) لإمام الحرمين الجويني، وكتاب (الأربعين في دلائل التوحيد) للهروي، و(الأسماء والصفات) و(الإكليل في المتشابه والتأويل) ورسائل (الحموية) و(التدمرية) و(الأكملية) و(المدنية) وغيرها لابن تيمية، و(اجتماع الجيوش الإسلامية) لابن القيم، و(العلو) لكل من الذهبي وابن قدامة المقدسي.. فجميع هذه المصنفات وغيرها، تكلمت في صفات الله سبحانه ولم تذكر إلا ما يدل على إمرار كيفياتها، وعلى إثباتها دون تأويل يُخرجها إلى المجاز، ودون تشبيه منه صلى الله عليه وسلم ولا تمثيل ولا تجسيم ولا تعطيل، وليس فيها ما يدل على خلاف ذلك.

نلحظ هذا في قوله صلى الله عليه وسلم مثلًا في حديث مسلم: (إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها)، وقوله فيما أخرجه: (المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين)، وقوله في حديث الشفاعة: (فأقوم عن يمين الرحمن مقامًا لا يقومه غيري)، ونحوه قوله: (وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي أربعمائة ألف)، فقال أبو بكر: زدنا يا رسول الله، قال: (وثلاث حثيات من حثيات ربي)، فقال عمر: حسبك يا أبا بكر، فقال أبو بكر: دعني يا عمر، وما عليك أن يدخلنا الجنة كلنا، فقال عمر: إن شاء الله أدخل خلقه الجنة بكفٍّ واحدة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (صدق عمر) [قال الألباني: صحيح على شرط مسلم]، فصدَّقه في إثبات الكف لله وسعتها وعظمتها..

وقوله في الحديث المتفق عليه: (تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفأها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلًا لأهل الجنة).. وقوله فيما أخرجه البخاري: (يقبض الله تبارك وتعالى الأرض يوم القيامة ويطوي السموات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟)، وفي أخرى ذكرها البخاري أيضًا: (يطوي الله عز وجل السموات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين بيده الأخرى يأخذهن)، وفي ثالثة: (يقبض الله سماواته بيده والأرض باليد الأخرى، ثم يهزهن ثم يقول أنا الملك).

كما نرمق ما ذكرنا في قوله صلى الله عليه وسلم فيما أورده البخاري: (يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض، فإنه لم يغض مما في يمينه)، قال: (وعرشه على الماء وبيده الأخرى القبض، يرفع ويخفض)..

وفي ضحكه صلى الله عليه وسلم من قول الحبر الذي جاءه يقول: (يا محمد، إن الله جعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والجبال والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيهزهن فيقول: أنا الملك)، قال ابن مسعود راوي الحديث فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقًا لقول الحبر، ثم قال: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (الزمر/ ٦٧) [أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما].. فكل هذا وأضعافه وأضعاف أضعافه من النصوص الصحيحة الصريحة في ثبوت اليد وما شابهها لا يمكن أن يكون مجازًا وليس معه قرينة واحدة تبطل

الحقيقة وتبين المجاز؟!

إثبات الصفات ونفي المجاز:

وفي أوجه الدلالة لما ذكر، نجده صلى الله عليه وسلم قد ذكر القبض والبسط، والطي والهز، والخفض والرفع، واليمين والحثو، والأخذ والإمساك باليد، والوقوف عن يمين الرحمن، والكف، ووضع السموات على إصبع، والجبال على إصبع.. إلخ، ثم لما أخبرهم ببعض ذلك جعل يقبض يديه ويبسطهما، تأكيدًا منه أن ذلك حقيقة لا مجاز وتحقيقًا لمعنى الصفة لا تشبيهًا لها.. كما أنه صلى الله عليه وسلم قد ذكر إحدى اليدين وقال: (وبيده الأخرى).

وكل هذا يمتنع معه أن تكون اليد مجازية، سواء كانت بمعنى القدرة أو بمعنى النعمة، فإنها لا يُتصرف فيها هذا التصرف إلا وهي على الحقيقة على ما تشهد به لغة العرب، فإنه إذا قيل: (قبض بيده وأمسك بيده)، أو (قبض بإحدى يديه كذا وبالأخرى كذا) و(جلس عن يمينه)، أو (كتب كذا وعمله بيمينه أو بيديه)، فهذا لا يكون إلا حقيقة، بخلاف اليد المجازية فإنها إذا أُريدت لم يقترن بها ما يدل على اليد الحقيقية، بل ما يدل على المجاز كقولهم: (له عندي يد)، و(أنا تحت يدهم) ونحو ذلك.. وإلا فكيف - للقائلين بصرفها على الإطلاق - بما في نحو قوله تعالى: (وَمَا كُنتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ) (العنكبوت/ ٤٨)، وقول ابن عمر: (وإن الله لم يباشر بيده أو لم يخلق بيده إلا ثلاثًا: خلق آدم بيده، وغرس جنة عدن بيده، وكتب التوراة بيده)؟!، وأنى لهم في أي نقل أو عقل أو منطق أو ملة أو فطرة أو دين أو شريعة أو قانون أو مبدأ أو أصل أو قاعدة أن يكون معنى الآية: (وما كنت تتلو من كتاب ولا تخطه بنعمتك أو بقدرتك)، أو أن يصح أن يقال أن المراد من الأثر: (لم يخلق بقدرته أو بنعمته إلا ثلاثًا)، بينا الخلق كله بقدرته، وأي فضيلة لآدم وقد خلق تعالى إبليس بقدرته أيضًا؟![ينظر مختصر الصواعق ص ٤٢ وما بعدها].

وأنى لهم حمل اليد في الآية الكريمة: (لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ) (ص/ ٧٥) على القدرة أو النعمة، وقد نسب سبحانه فيها الخلق لنفسه، ثم عدّى الفعل إلى اليد، ثم ثناها، ثم أدخل عليها الباء التي تدخل على نحو قولنا: (كتبت بالقلم)؟!، وكيف يتسنى أن يكون المعنى: (لما خلقت بقدرتيَّ أو نعمتيَّ) مع ما أجمعوا عليه من أن له سبحانه قدرة واحدة وأن نِعمه على خلقه لا تُعد ولا تُحصى، وعلى استحالة خلق المخلوق بمخلوق، لكون النعم كلها مخلوقة، بل ومع ما هو معلوم من أن المستعمل في يد القدرة أو النعمة أن تكون مجردة عن الإضافة، وعن التثنية وعن نسبة الفعل إليها، ومع ما هو معلوم كذلك من أن استعمال: (يمين الرحمن)، و(كلتا يديه يمين) السابق ذكرهما في الحديث لا يقال فيه: (يد النعمة والقدرة)؟!.

منهج الصحابة في إثبات الأسماء والصفات:

على أن الصحابي الجليل وهو ابن مسعود، الذي روى خبر اليهودي وضحك النبي صلى الله عليه وسلم وبدو نواجذه تصديقا لهذا الخبر، ما فهم مما أقره رسول الله في ذلك إلا أصبعًا تليق بجلاله سبحانه، وما خطر بباله قط أن وصف الأصبع له تعالى الذي ورد على لسان اليهودي جارحة، أو جاء على سبيل التشبيه أو التجسيم، ولا تأوله ولًا قال بإخراجه عن ظاهره..

كما أن الصحابة الذين رووا عنه صلى الله عليه وسلم قوله فيما أخرجه مسلم وغيره: (ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن؛ إن شاء يقيمه أقامه، وإن شاء أن يزيغه أزاغه)، هم من فهموا عن يقين أن لفظ (بين) لا تقتضي المخالطة ولا المماسة والملاصقة لغةً ولا عقلًا ولا عرفًا، بل هو - ولله المثل الأعلى - كما في قول الله تعالى: (وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ) (البقرة/ ١٦٤)، وهو - يعني: السحاب - لا يلاصق السماء ولا الأرض.

وها هو ذا صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه مسلم عن جابر، يعلن على الملأ في خطبته يوم عرفة: (ألا هل بلغت؟)، فقالوا: (نعم)، يقول جابر: فجعل يرفع أصبعه إلى السماء وينكتها إليهم، ويقول: (اللهم اشهد).. ويروي عنه أبو داود والترمذي وصححه من طريق عبد الله بن عمرو قوله صلى الله عليه وسلم: (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء).. وها هو ذا يخاطب أصحابه - وهم

من هم عربية وفصاحة - بقوله: (ألا تأمنونني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحًا ومساء)، وبقوله: (والذي نفسي بيده، ما من رجل يدعو امرأته فتأبى عليه، إلا كان الذي في السماء ساخطًا عليها حتى يرضى عنها زوجها)، وبقوله: (لما قضى الله الخلق كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي)، وبقوله: (ينزل ربنا كل ليلة إذا مضى ثلث الليل الأول فيقول: أنا الملك، من ذا الذي يسألني فأعطيه؟ من ذا الذي يدعوني فأستجيب له؟ من ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟)، وبقوله: (إذا كان يوم القيامة نزل الرب إلى العباد)، وبقوله: (من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب، ولا يصعد إلى الله إلا الطيب.. الحديث)، والأحاديث في مسلم.. ويحدث سعد بن وقاص قائلًا: (لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع سماوات).

فهل ينكر عاقل أن يكون رب العزة الذي تكلم عنه رسوله صلى الله عليه وسلم بهذه العبارات المختلفة - (يرفع أصبعه إلى السماء ويقول: اللهم اشهد)، (مَن في السماء)، (الذي في السماء) (الملِك من فوق سبع سماوات) (عنده فوق العرش) (ينزل ربنا كل ليلة) (نزل الرب إلى العباد) (لا يصعد إليه إلا الطيب) - على غير ما ذُكر، فيكون - سبحانه وحاشاه - بذاته تحت الأرض وفي الحشوش وفي بطون الأمهات وأماكن القذر، وهل يظن عاقل برسول الله أنه بهذا الذي صح عنه - بأبي هو وأمي - يجسِّم أو يشبِّه، أو يفوِّض أو يؤوِّل، أو يفعل ذلك أيًا من أصحابه؟!

ثم ها هي زوجه صلى الله عليه وسلم - زينب بنت جحش - تفاخر باقي زوجاته رضي الله عنهن جميعًا فتقول والحديث في البخاري: (زوجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سماوات).. وهذا حبيبه صلى الله عليه وسلم وخليفته من بعده، يحكي عنه البخاري في تاريخه أنه لما قبض رسول الله دخل فأكب عليه وقبل جبهته وقال: (بأبي أنت وأمي، طبت حيًا وميتًا)، وقال: (من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله في السماء، حي لا يموت).. وهذا عمر الفاروق، تستوقفه امرأة وهو يسير مع الناس فيقف لها ويُصغي إليها حتى ما قضت حاجتها وانصرفت، فإذا رجل يقول له: (يا أمير المؤمنين حبست رجالًا من قريش على هذه العجوز)، فيقول له: (ويلك تدري من هذه؟، هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات، هذه خولة بنت ثعلبة، والله لو لم تنصرف عني إلى الليل ما انصرفت حتى تقضي حاجتها إلا أن تحضرني صلاة فأصليها، ثم أرجع إليها حتى تقضي حاجتها).. وذاك حبر الأمة ابن عباس يقول: (ينادي مناد بين يدي الساعة: أتتكم الساعة، فيسمعه الأحياء وأموات، ثم ينزل الله إلى السماء الدنيا).. وهذا ابن مسعود يقول فيما صح إسناده: (العرش فوق الماء، والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم).. وذا عدي بن عمير رضي الله عنه يحكي لحظة إسلامه وما كان من جمهرة الصحابة فيقول: (خرجت مهاجرًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم)، فذكر قصة طويلة وقال: (فإذا هو - يعني محمدًا صلى الله عليه وسلم - ومن معه يسجدون على وجوههم، ويزعمون أن إلههم في السماء، فأسلمت وتبعته).. وذلك ابن رواحة يقول:

شهدتُ بأن وعد الله حق
وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرشَ فوق الماء طاف
وفوق العرش ربُّ العالمينا
وتحمله ملائكة شداد
ملائكة الإله مسومينا

فهل تَحتمِلُ هذه العبارات - وأمثالها كثير- وكلها قد خرَّجها الذهبي في (العلو) وابن القيم في (اجتماع الجيوش) وغيرهما بأسانيد صحيحة - معانٍ غير التي وُضعت لها؟.. أو يَفهم منها أحد غيرَ ما يفهمه منها العامة والخاصة، فيتأول هذه الصفات على غير ما هي له!! ولا يثبت لله فوقية ولا علوًا بذاته يليقان بجلاله، فيكذب النبي صلى الله عليه وسلم أو من نزل الوحي عليهم؟.. أو يتهم أيًا بالتجسيم والتشبيه، وبأنه قد أخرج هذه الصفات عن ظاهر معناها إلى مجاز؟!.. اللهم لا..

وللحديث بقية إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين.

التربيـــة وبنـــاء الأمـــة

الحلقة الأولى

إعداد/ د. أحمد فريد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أطيب المرسلين.

فلا شك أن الأمة تتطلع إلى فجر جديد، يعود فيه الإسلام والمسلمون إلى مكانتهم الطبيعية في القيادة والسيادة، فتسعد بهم البشرية، وتخرج من ظلمات الشرك والشهوات والشبهات إلى نور التوحيد ومنهج الأنبياء الذي يتكفل بإسعادهم في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: «فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ» [طه: ١٢٣]، وكذا يخرجون من ضنك المعاصي وشقاء الشهوات والشبهات: «وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا» [طه: ١٢٤]، المنهج الإسلامي ينهض بالناس من اللهث خلف الشهوات الوهمية والبهيمية، ويرتقي بهم إلى أفق السعادة بالعبادات وتوحيد رب الأرض والسماوات.

الأمة الإسلامية تحتاج إلى الاستغناء عن القوانين الوضعية المستوردة من الغرب الكافر والشرق الملحد، فقد أغناها الله عز وجل بشريعة الإسلام الكاملة الشاملة، ونزل على النبي صلى الله عليه وسلم بعرفة يوم عرفة: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» [المائدة: ٣]، وقال تعالى: «وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ» [المائدة: ٤٩ - ٥٠].

الأمة تحتاج إلى الخروج عن التبعية للغرب والنظام العالمي الجديد، وأن تستقل بفكرها، وأن تتحول من أمة تابعة إلى أمة متبوعة، ومن شعوب مهزومة إلى شعوب منتصرة، ومن حضارة متخلفة إلى حضارة متقدمة.

التربية الجادة ضرورة:

يقول الدكتور محمد الدويش: «ومن ثم فالمشروع الإسلامي ما لم يأخذ على عاتقه إعادة صياغة متكاملة للفرد والمجتمعات الإسلامية في التفكير، والتصورات والقيم، والموازين، فهو عاجز عن تحقيق الهدف الذي يسعى إليه.

وهذا التغيير وإعادة الصياغة يحتاجان جهدًا تربويًا ضخمًا، من الدعاة والمصلحين، وجهدًا لتربية مجتمعات المسلمين، ومن ثَمَّ كانت التربية الجادة ضرورة.

وحيث تتبوأ التربية هذه المنزلة وترقى إلى هذه الأهمية، فهي تحتاج إلى المزيد من الدراسات والبحوث ومراجعة الأوضاع القائمة وغربلتها.

وأما حين تكون مرحلة العواطف الجياشة والحماسة المتأججة نهاية المطاف ومنتهى الغايات، فتصاغ البرامج التربوية للوصول بها وتحقيقها فحسب، فلن تحقق الدعوة غايتها». [التربية الجادة ضرورة (٧، ٨)].

أهمية الجانب التربوي في الدعوة:

فمن أهم ما تُبذل فيه الحيوات، وتُنفق فيه الأوقات، وتهتم به الدعوات: الجانب التربوي في الدعوة فبه يتجدد نشاطها، وتتفتح زهراتها، وتطيب ثمراتها، فبالتربية تُصحح العقائد، وتُعمق المفاهيم الصحيحة، وتُغرس الأخلاق النبيلة، وينشأ الصغار على ما درج عليه الكبار.

قال بعض السلف: لا يزال الناس بخير ما بقي الأول حتى ينصلح الآخر.

وهل قامت دولة الإسلام، وارتفع دين الملك العلام إلا بتربية الصحابة الكرام على يد المربي الأول الذي تشرفت البشرية برؤيته، واستضاءت المعمورة ببركة دعوته، فقد كان أكبر همّ النبي صلى الله عليه وسلم تربية الصحابة الكرام بدار الأرقم بن أبي الأرقم بالقيام والصيام وتلاوة القرآن، حتى صاروا أقمار هداية وشموس ضياء، وصار الواحد منهم إذا أُرسل إلى ناحية أضاءها، كما أرسل مصعب بن عمير رضي الله عنه إلى المدينة قبل الهجرة النبوية المباركة، وبعد سنة واحدة لم يبق في المدينة بيت إلا وقد دخله الإسلام، إما أمن كله أو بعضه، وفتح المدينة بالقرآن، ومهّدها لأن تكون دار الهجرة والإيمان.

فهذه مقدمة في التربية وأول الغيث قطرة، أسأل الله تعالى أن يوفق المؤسسات الإسلامية، وجماعات الدعوة، والدعاة إلى القيام بواجبهم في تربية الأمة، حتى تنهض من كبوتها، وتعود إلى سالف عزتها وكرامتها.

والله الموفق والمستعان.

ومجلة التوحيد ترحب بالدكتور أحمد فريد وهو يطل على قرائها في بابه الجديد ونسأل الله له التوفيق والسداد.

قوا أنفسكم وأهليكم ناراً

إعداد/ د. أبو الفتوح عقل

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعدُ.

فإن نعمة الولد يعرف قيمتها من شرح الله صدره، كما يعرفها من عانى الحرمان منها، فسبحان من «يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ۝ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا» (الشورى٤٩ - ٥٠).

ولكي تكون هذه النعمة لنا لا علينا، ولكي يكون الولد ذخرًا لوالديه في الدنيا والآخرة، وبابًا من أبواب الجنة، وحجابًا لهم من النار يوم القيامة؛ فإن الأمر يحتاج إلي جهود كبيرة يقدمها الوالدان وفق منهج الإسلام في تربية وتنشئة أبنائه، أجملها ربنا تبارك وتعالى في تعبير معجز في سورة التحريم، فقال سبحانه: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ» [التحريم: ٦]، وبهذا يحدد القرآن الكريم أهم المهام التي عهد بها للأبوين تجاه الأبناء؛ حتى لا تمسهم النارُ، بل إن الأمر يتسع ليشمل أهل بيته الأقربين، ومن سهل عليه إبلاغهم أحكام شريعة الرحمن تبارك وتعالى، وذلك يعني أن نهتم بكل ما من شأنه أن يباعد بين أبنائنا وبين النار.

وأول هذه المهام: الإطعام من الحلال؛ فإن كل جسم نبت من سحت فالنار أولى به، وإنه من أعظم الأمانات - كما في قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا» [النساء: ٥٨] - أن يطعم الرجل أهله من الحلال؛ فإن إطعامهم من الحرام يعد خيانة عظمى لأهم الأمانات، وإن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا، فإذا حرص المسلم على أن ينشأ لحم ولده من الحلال، فإن أبناءه سيعلمون ذلك حتى وهم في مرحلة الصبا، وسيظل أبوهم موضع حب واحترام بينهم إلى آخر يوم في عمره، ويكفيه دعاؤهم له صباح مساء «رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا» [الإسراء: ٢٤]، أو يردد أحدهم: «رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ» [إبراهيم: ٤١].

ثانيًا: تأتي النشأة الإسلامية الصحيحة، وأساسها التنشئة على حفظ القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة، وهو أمر ميسور في مرحلة الطفولة والصبا قبل أن تزداد أعباؤهم الدراسية.. حبذا لو تعهد الوالد أبناءه بمراجعة المحفوظ بأسلوب منظم؛ حتى لا يتفلت القرآن من صدر أبنائه، وليبذل في ذلك ما يستطيع من أساليب التشجيع والمكافأة.

ثالث هذه الركائز أن يكون الوالدان هم الواسطة العملية بين أخلاق وآداب وأحكام الشريعة الإسلامية وبين أبنائهم؛ تنبيهًا وإرشادًا، وأداءً عمليًا، مع التأكيد الدائم على صبغة كل خلق أو حكم بالصبغة الشرعية، والمفترض أن يكون كل منا سواء في بيته أو خارجه سفيرًا مخلصًا للإسلام، وممثلاً أمينًا لأخلاق هذا الدين العظيم الذي شرفنا الله بالانتماء إليه، عندها يعظم شأن الرجل في عيني أبنائه، ويكفيه عند ذلك القليل من النصح والإرشاد، وحينها أيضًا سيعيش الوالدان عيشا كريمًا بين أبنائهم ممتعين بأعلى درجات التوقير والاحترام.

رابعًا ننصح بالأسلوب الأمثل في معاملة الزوج لزوجته، وإيثار لغة الاحترام والمودة حتى تظل للزوجة مصداقيتها في التوجيه والمتابعة؛ إذ أن مهمة الزوجة في بيت زوجها لا تقل أهمية عن دور الزوج، ولا أدل على ذلك مما ورد في سورة الأحقاف؛ حيث يقول الحق عز وجل: «وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ» [الأحقاف: ١٧].

كأني الآن أرى الوالدين يجلسان أمام ولدهما الذي يعاني فسادًا في العقيدة؛ حيث إنه لا يؤمن باليوم الآخر، وقد وصل الأمر بهما إلي حالة الاستغاثة بالله عز وجل حتى يؤمن ويكون عونا لهما وحتى تستقر العقيدة الصحيحة في صدر الغلام، وبهذا يظهر لنا بوضوح تام أن الأسرة وخاصة الأبوين مسئولة عن تصحيح أمور العقيدة، ولهذا ننصح كما نصح الإسلام بضرورة معرفة المرأة بأمور دينها؛ حتى تكون قادرة على إسداء النصح في حينه، وحتى تكون مهيأة للرد على أسئلة أبنائها على نحو مقنع يكسبها لدى أبنائها مزيدًا من التوقير والثقة، وبهذا تشارك سيدة المنزل في أعظم مشروع في العائلة المسلمة.

نقول ذلك، ونحن لا ننكر أنها المعلم الأول في حياة أبنائها في أخطر مراحل العمر، وهي التي تشكل الصفحات الأولى في القاموس اللغوي لدى كل منهما، وإلى جوارها يقف الولد مقلدًا إياها ومؤتمًا بها يصلي كما تصلي.. (رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) [الفرقان: ٧٤].

وللحديث بقية. والحمد لله رب العالمين.

عام ماضٍ وآخر قادم

إعداد/ عبده أحمد الأقرع

الحمد لله الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورًا، وأصلي وأسلم على من أرسله ربه بين يدي الساعة بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، صلى الله عليه وعلى آله وأتباعه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فإنَّ استقبال هذه الأمة لعام جديد من حياتها هو بمجرده حدثٌ لا يُستهان به، وإن بدا في أنظار بعض الناس حدثًا هينًا، فالأيام مراحل ومطايا، تُبعِدُ عن الدنيا وتُدْنِي من الآخرة.

إنَّا لنفرح بالأيام نقطعها
وكل يوم مضى يُدْني من الأجل

نعم كل يوم يُدْنِي من القبور، ويُبْعِد عن عامر الدُور والقصور، والموفق من يسعى لصلاح حاله، بحيث يكون غدُه خيرًا من يومه، ويومه أفضل من أمسه، وعامه الجديد أفضل من عامه الماضي، والكيِّس من حاسب نفسه عند دخول العام الجديد، وراجع حساباته، وفتح صفحةً جديدة من حياته، وتعهد رصيده الأخرويَّ، وتزود من العمل الصالح، وقدَّر لخطاه مواضعها، فلا يزال العبد على هدًى ما كان له واعظٌ من نفسه، وكانت المحاسبة من همته. يقول الحسن البصري رحمه الله: «إن أيسر الناس حسابًا يوم القيامة الذين حاسبوا أنفسهم في هذه الدنيا، فوقفوا عند أعمالهم، فإنْ الذين هموا به لله مضوا فيه، وإن كان عليهم أمسكوا، وإنما يثقل الحساب يوم القيامة على الذين جازفوا الأمور، فأخذوها من غير محاسبة، فوجدوا الله قد أحصى عليهم مثاقيل الذر».

الدنيا محفوفة بالأخطار والأكدار:

وما حقيقة الأعمار إلا أعوام، وما الأعوام إلا أيام، وما الأيام إلا أنفاس، وإن عمرًا يُقاس بالأنفاس لسريع الانصرام، وحوادث الدهر عدة، وعبر الأيام جمة، مدائن تعمر وأخرى تدمر، يصبح ابن آدم معافى في بدنه، ثم يمسي بين أطباق الثرى.

فالدنيا محفوفة بالأخطار والأكدار، مشحونة بالمتاعب، مملوءة بالمصائب، طافحة بالأحزان والأكدار، قال الله تعالى: «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ» [البلد: ٤]، نعيمها يزول، وسعادتها لا تدوم، مُزجت أفراحها بأتراح، وحلاوتها بمرارة، وراحتها بتعب، لا يدوم لها حال، ولا يطمئن لها بال، فأي امرئ سلم فيها من العنت؟ وأي امرئ لم تمسه المصيبة؟

الإنسان فيها معرَّض للأمراض والأعراض، عيشها حقير، وزمانها قصير، قال الله تعالى: «قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ» [المؤمنون: ١١٢- ١١٣]، وقال تعالى: «وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ» [يونس: ٤٥].

وقال جل وعلا: «يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا» [طه: ١٠٢، ١٠٣].

وقال تبارك وتعالى: «وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ» [الروم: ٥٥]. وقال سبحانه: «كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا» [النازعات: ٤٦].

الأحوال فيها إما نعم زائلة، وإما بلايا نازلة، وإما منايا قاضية، قيل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: صف لنا الدنيا؟ قال: «من صح فيها أمن، ومن سقم فيها ندم، ومن افتقر فيها حزن، ومن استغنى فيها فُتن، في حلالها حساب، وفي حرامها عقاب». وقد ذكر الله عز وجل حقيقتها بقوله: «اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ» [الحديد: ٢٠].

حال المؤمن في الدنيا:

والمؤمن في الدنيا كالغريب، لا يجزع من ذلها، ولا ينافس في عزها، له شأن وللناس شأن، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر». [مسلم: ٢٩٥٦].

ومن عرف الدنيا حق المعرفة لم يفرح فيها برخاء، ولم يحزن على بلاء، الحياة بغير الدين تحفها المنغصات، وأسعد الناس بها أرغبهم عنها، وأشقاهم

بها أرغبهم فيها، الفائز من أعرض عنها، والهالك من رغب فيها، قال صلى الله عليه وسلم: «لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافرًا منها شربة ماء». [صحيح الجامع: ٥٢٩٢].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خُصًّا لنا، فقال: «ما هذا؟» فقلنا: قد وهى، فنحن نصلحه، فقال: «ما أرى الأمر إلا أعجل من ذلك». [صحيح سنن أبي داود رقم ٤٣٦٢]. معنى: الخصُّ: بيت من خشب وقصب، سُمي خُصًّا لما فيه من الخصائص وهي الفُرَج والثقوب.

فإياكم - إخواني - والاغترار بزهرتها، فقد اغتر قوم قبلكم فأوردتهم موارد العطب، أبهرتهم بروتقها فما أفاقوا إلا وهم في عداد الموتى، وقتها تدوي الصيحات وتُسكب العبرات، قال الله تعالى: «حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ» [المؤمنون: ٩٩- ١٠٠].

وقال تعالى: «وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ (١٠) وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ» [المنافقون: ١٠، ١١].

فاحذر - أخي - الاغترار بالسلامة والإمهال، ومتابعة غرور المنى والآمال، وكل عمل كرهت الموت من أجله فاتركه ثم لا يضرك متى متّ، واعمل لآخرتك يكفك الله أمر دنياك، وبع دنياك بآخرتك تربحهما جميعًا، قال صلى الله عليه وسلم: «من كانت همه الآخرة، جمع الله له شمله، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا راغمة، ومن كانت همه الدنيا، فرّق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كُتب الله له» [صحيح الجامع رقم: ٦٥١٦].

يقول يحيى بن معاذ: «العقلاء ثلاثة: من ترك الدنيا قبل أن تتركه، وبنى قبره قبل أن يدخله، وأرضى خالقه قبل أن يلقاه».

فالدنيا معبر ينبغي للإنسان ألا ينافس بلذاتها، وأن يعبر الأيام بها، ولا يأمن التحول منها، يقول صلى الله عليه وسلم: «وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها». [متفق عليه: البخاري: ٣٢٠٨، ومسلم: ٢٦٤٣].

كيف يتغلب العبد على طول الأمل؟

والعاقل حقًا من تغلب على طول الأمل بتذكر الموت، وإنَّ زيارة المقابر، وتغسيل الموتى، وعيادة المرضى، توقظ القلوب وتذكر بالمصير المحتوم، وإنَّ كؤوس التسويف لن تسقيك سوى ندامة تتجرع مرارتها، فبادر بإطفاء ما أوقد من نيران الذنوب، فدمعة التائب تطفئ نار الغضب، وامحُ بالتوبة زلتك، وإذا أصبحت فتأمل ما مضى من ليلتك، فالليل والنهار يقربان كل بعيد، ويأتيان بكل موعود، والمؤمن بين مخافتين: أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وأجل قد بقي لا يدري ما الله قاضٍ فيه.

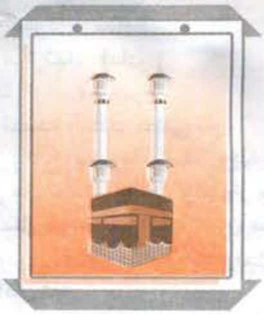
كم من حسرات في بطون المقابر:

وفي مطلع العام تستفتح صفحاتٌ من الأعمال بيضاء، لا يدري العبد ماذا يُسطر فيها، ويروح إلى أجل قد غيّب عنه علمه، فنصيب الإنسان من الدنيا عمره، فإن أحسن اغتنامه فيما ينفعه في دار القرار فقد ربحت تجارته، وإن أساء استغلاله وأكثر من المعاصي والسيئات بارت بضاعته، وكم من حسرة أتَتْ تحت الثرى؟

والرشيد من حاسب نفسه قبل أن يحاسبه الله، والموفق من اغتنم وقته، وعرف دواءه من دائه، ولم يُهمل فيُهمل، ودع عنك الذنوب فترك الذنب أيسرُ عليك من طلب التوبة، ولا تدع ذنبًا يخلف ذنبًا، ولقد علم السلف أن الخير كله بحذافيره في الجنة؛ فادلجوا في السير إليها، والشر كله بحذافيره في النار فاجتهدوا في الهرب منها، وإن الحياة ميدان فسيح لصالح الأعمال، وها أنتم ازدلفتم إلى عام جديد وقد ودعتم عامًا من العمر مضى بما أودعتموه من عمل، والسعيد من استودع مدة عمره صالحًا من عمله، والشقي من شهدت عليه جوارحه بقبيح معاصيه، فاحفظوا أيام أعماركم قبل تفردكم في قبوركم، واغتنموا أيام حياتكم قبل الفوات، وأكرموا نزل عامكم الجديد بالطاعات، وأروا الله من أنفسكم خيرًا.

قال علي رضي الله عنه: «إنَّ الدنيا قد ارتحلت مدبرة، وإنَّ الآخرة قد ارتحلت مقبلة، ولكل منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإنَّ اليوم عمل ولا حساب، وغدًا حساب ولا عمل».

نسأل الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العُلَى، أن يجعله عام خير وبركة ونصر للإسلام والمسلمين في كل مكان، وعام ذُل وهوان لأعداء الإسلام والمسلمين، ونسأله سبحانه أن يجعلَ منه عام يقظة وهمة، ونقطة تحول وفتح لصفحة جديدة وصلاح لأحوال المسلمين في كل مكان، وجمع شمل الأمة على كلمة سواء، إنه ولي ذلك والقادر عليه.



نظرات في حديث توبة قاتل المائة

الحلقة الأولى

إعداد/ محمد رزق ساطور

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسولنا الأمين، محمد بن عبد الله ورسوله الصادق الوعد الأمين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

عن أبي سَعيد الخُدْرِيِّ رضي الله عنه أنَّ نَبيَّ الله صلى الله عليه وسلم قال: «كان فيمَنْ كان قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تسعة وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عن أَعْلَم أَهْل الأرض، فَدُلَّ على رَاهِبٍ فَأَتَاهُ فقال: إنَه قَتَلَ تسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا فَهَلْ له من تَوْبَة؟ فقال: لاَ. فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ به مائَة، ثُمَّ سَأَلَ عن أَعْلَم أَهْل الأرض، فَدُلَّ على رَجُل عَالم فقال: إنه قَتَلَ مائَةَ نَفْس، فَهَلْ له من تَوْبَة؟ فقال: نعم، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَة؟! انْطَلقْ إلى أَرْض كَذَا وَكَذَا؛ فإن بها أُنَاسًا يَعْبُدُونَ الله فَاعْبُدْ اللَّهَ مَعَهُمْ، ولا تَرْجعْ إلى أَرْضكَ فَإنَّهَا أَرْضُ سَوْء، فانطلق حتى إذا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ المَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فيه مَلَائكَةُ الرَّحْمَة وَمَلَائكَةُ الْعَذَاب، فقالت مَلَائكَةُ الرَّحْمَة: جاء تَائبًا مُقْبلاً بقَلْبه إلى الله، وَقَالَتْ مَلَائكَةُ الْعَذَاب: إنه لم يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ في صُورَة آدَميٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فقال: قيسُوا ما بين الأَرْضَين، فَإلَى أَيَّتهمَا كان أَدْنَى فَهُوَ له، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إلى الأرض التي أَرَادَ؛ فَقَبَضَتْهُ مَلَائكَةُ الرَّحْمَة» قال قَتَادَةُ: فقال الْحَسَنُ: ذُكرَ لنا أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ المَوْتُ نَأَى بصَدْره» [أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء (٥٩١/٦) (٣٤٧٠) ومسلم في التوبة باب قبول القاتل وإن كثر قتله (٨٣/٨٢/١٧)، وغيرهما.

وفي هذا الحديث من الكنوز والفوائد الكثير لمن تدبر فيه، وها نحن نذكر بعضاً منها، وبالله تعالى التوفيق:

الأولى: الاعتبار بما مضى في السابقين، وبمن كانوا قبلنا، فقد كان منهم من رضي الله عنهم وتقبل منهم، وأقال عثرتهم وأنار بصيرتهم، فكل من طلب من الله تعالى العفو، عليه أن يستقيم على أمره، ليقبل منه ويتجاوز عنه، وأن من لم يعتبر بغيره ويرجع عن غيه، كان

عبرةً لمن يأتي بعده، فالنبي صلى الله عليه وسلم يربط هذه الأمة بمن سبقها على طريق التوبة والإيمان؛ لأن دين الأنبياء واحد وهو الإسلام وحتى يعلم المسلمون أننا لا نسير في طريق التوبة وحدنا، بل لقد سار في هذا الطريق كل الأنبياء والمرسلين وأتباعهم الذين صدقوا في إيمانهم، أما من بدَّل وغيَّر فإننا نبرأ إلى الله تعالى منه بل ويبرأ منه الأنبياء والمرسلون ومن صدق من أتباعهم.

الثانية : أن قساوة القلب، والبعد عن الله، والجهل واقتراف المعاصي، وفعل القبائح والسيئات لها حد ولها نهاية، من وضع لها حداً في الدنيا بالتوبة فقد فاز، وإلا كانت النهاية في النار . عياذاً بالله منها . فهذا قاتل محترف قتل تسعة وتسعين نفساً، وبعد ذلك يمل من كثرة هذه القبائح، ويكرهها، ويريد الهرب والبعد عنها، ويرجو رحمة ربه سبحانه، ويطلب التوبة ويسأل عنها، فطريق العصيان كله ملل ونَصَب وشقاء وهلاك وتعب، فالمخالفات من شأنها أن تهلك القلب ولا تسعده، تُرى ماذا كان يريد هذا الرجل بعد أن قتل تسعة وتسعين نفساً؟ ربما كان سعيداً سعادةً مؤقتةً زائفةً بذلك، وربما كان يُثبت لنفسه هذه السعادة الزائفة بقتل الأنفس، ومع ذلك ما وجد مما فعله إلا الشقاء والضياع والرعب والفزع، والاضطراب والقلق، هذا حينما أبصر الحق وزالت عنه غشاوة الباطل، فلا بد من حل للخروج من هذه الأزمات، إن ذلك لا يكون إلا بالقرب من الله تعالى والتوبة له، والانقياد لأمره تعالى، ولذلك لما وقف الراهب ليحول بينه وبين الله، والنور الذي شعر أن فيه نجاته، أحس أن ذلك الراهب يحول بينه وبين السعادة الحقيقية وأراد أن يرده إلى الوحل والى ما قاسى منه من هلاك وضياع ودمار و...، فلذلك قتله غير آسف على قتله، ليجد بعدها العالم ليرشده حتى تكتمل سعادته.

الثالثة : قصور عقول بني آدم، وعدم إدراكها لكثير من مصالحها وأنها قاصرة عاجزة ما لم ترتبط بالشرع، فلو أن إنساناً فكر بعقله، في شأن قاتل محترف، ومجرم سفاك للدماء قتل تسعة وتسعين نفساً، هل يهتدي للتوبة؟ إن العقل بكل مقدماته وبديهياته وتحليلاته ونتائجه سوف يخرج تصوره عن هذا القاتل بأن حواسه أُغلقت، فالبصر أعمى لا أمل في أن يبصر والقلب ميت لا أمل في حياته، والأذن صماء لا يمكن أن تسمع الحق، واللسان كذلك، وأعضاؤه مهيأة لكل شيء ما عدا الحق، ثم يشاء العليم الخبير أن يختم لهذا العبد خاتمة طيبة، فلا يُمكِّن منه أحداً ليقتله قبل أن يتوب، فلا تَدركه منية حتى يسأل ويعزم العودة، ويقبل على الله ليقبل منه توبته، وهذا من رحمة الله بالتائبين، فلا بد للعبد أن يشغل نفسه بالله ويرجع إليه ليوفقه، ولا يستعظم ذنوبه، فالله وعد بالغفران، فلابد من الرجوع السريع والله الموفق.

الرابعة : لم يكتف هذا الرجل بالسؤال عن أي عالم فهو يريد توبة تخلصه من كل ذنوبه فيريد أفضل العلماء، لم يسأل أحداً من حاشيته وصحبته فهو أدرى الناس بهم، وقد استقر في النفوس والفطر أن الحق والهداية والنور لا يدل عليهم إلا أهل العلم، لذا بدأ رحلة البحث عن كيفية التخلص من ذنوبه، ومن الظلم الذي اقترفه، فقد استشعر أن حالته لا يصلح فيها أي عالم، بل يريد أعلم أهل الأرض ليدله على خلاصة الأمر ليستريح من ذلك العناء والنصب، وحينما لم يجد بُغيته في المرة الأولى لم ييأس، وظل يسأل عن أعلم أهل الأرض حتى وفقه الله إلى عالم فتاب على يديه.

الخامسة : أن التائب حين سأل الناس عن أعلم أهل الأرض، فدله من سأله عن العالم بحسب ما يعرف، فبعض الناس يظنون في العالم الظنونا، فمنهم من يعتبر كل من نُسب إلى الدين عالماً، كأولئك الذين ينتفعون بالدين ويقرءون القرآن على القبور نظير الأجور، أو المتصوفة الذين يتمسحون بالقبور ويدعون الناس للاستغاثة بهم

والملاذ بقبورهم، أو ينتسبون بالعلم بالكلام دون العمل، هؤلاء يحسبهم الناس علماء، أو بشكلهم أو هيئتهم، فلما دله الناسُ على من اعتبروه أعلم أهل الأرض بظنهم، أحس لما وقف بين يديه وكلمه أنه ليس هو العالم ومن ثَم فليس هو المطلوب، فنور العلم لم يظهر ونُصح العالم ورفقه وحلمه غاب واندثر، وظهر الجهل والحمق والتسرع في الأحكام، فأفتى بغير علم وصدَّ التائب عن الطريق وحجب الرحمة عن التائب حتى ضاق الرجل به ذرعاً ولم ير بُدًّاً من قتله، ثم عاد التائب ليسأل الناسَ عن أعلم أهل الأرض، ولم ييأس من الوصول إليه، ولم يحكم على الكل بما وجد في البعض، فهذا الرجل مع ما فيه من ظلم وقتل وضلال لم يقل: كلهم على هذا الحال، بل كان منصفاً، وعاد ليسأل الناس عن أعلم أهل الأرض حتى وفَّقه الله إلى عالم فتاب على يديه .

السادسة : حينما أفتى الراهب هذا الرجل بأنه لا توبة له، أفتاه بجهل وكانت هذه الفُتيا سبباً في قتله، وأما العالم فحين أفتى نفس الرجل أفتاه بعلم، فانقاد له وأذعن ولم يخالفه، ولم يعترض عليه ونفَّذ كل ما أمره به، وهذا من بركة العلم وكذلك فإن العلم يجعل صاحبَه يستوعب الجاهل والمجرم والقاتل فيؤلف قلبه، ويداوي جرحه ولا يتأفف من رائحة المعاصي التي تفوح منه، ولذلك فإن أهل العلم هم الأطباء والممرضون والخدم للخلق، فلا ينبغي أن يُقَنِّطوا الناس من رحمة الله، بل التوبة مفتوحة حتى الغرغرة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله تبارك وتعالى يقبل توبة عبده ما لم يغرغر بنفسه». [أخرجه أحمد في مسنده والحاكم في مستدركه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عبد الرحمن وهو ثقة].

السابعة : إن العالم هو الذي يحبب الناس في الله، ويرغِّبهم في رحمته، ويبين لهم سعة حلمه وعفوه وكرمه لمن تاب وأناب، ولذلك قال العالم للرجل : «مَنْ يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟!»، فالعلاقة بين العبد وربه موصولة دائمة، فلو أن العبد قطعها وانغمس في شهواته وانطوى على ملذاته، وذاب في رغباته، فإن الله تعالى لا يقطعها ، فهو الذي يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، والعالم مُطالَب أن يدل الناس على الله وعلاقة العبد بربه لا يطلع عليها إلا الله، فإن شاء قبل منه وغفر له وعفا عنه « قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ »[الأنفال: ٣٨].

الثامنة: أن العالم لا يقف عند حد الفتوى الجافة، ولكن عليه أن يُوجد لهذا السائل مخرجاً كريماً، ويساعد فيه العاصي على أن يتجاوز المحنة، ويرفع عنه عناء الذنوب، ويدله على الطريق، ويبصِّره بطبيعة هذا الطريق، فلقد كان من الممكن أن يكتفي العالم بأن يقول لهذا الرجل: نعم باب التوبة مفتوح، فتب إلى الله، ويسكت عند هذا الحد، ولكن العالم لم يكتف بذلك، بل إنه دله كيف يعمل؟ فقال له : (ائْتِ أَرْضَ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا نَاسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَاعْبُدِ اللَّهَ وَلا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضُ سُوءٍ) فدله على قوم صالحين يعبد الله معهم في أرض كذا، وسماها للرجل؛ لأن صاحب المعصية مهما صحت توبته فهو في حاجة إلى من يعلّمه ويوجهه، ومن هنا فإن العالم ينبغي أن يجيب السائل بأكثر من السؤال، أو بما وراء السؤال، ولذا لما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : (يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّا نَرْكَبُ الْبَحْرَ، وَنَحْمِلُ مَعَنَا الْقَلِيلَ مِنَ الْمَاءِ، فَإِنْ تَوَضَّأْنَا بِهِ عَطِشْنَا، أَفَنَتَوَضَّأُ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ؟ فَقَالَ: هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ، الْحِلُّ مَيْتَتُهُ) [أخرجه مالك في الموطأ والنسائي وابن خزيمة وابن ماجه وأحمد]، فلم يجبه بما سأل عنه فحسب، بل بما يفيده وينفعه.

التاسعة: أن العالم له فضل على العابد ؛ لأن الذي أفتاه أولاً بأن لا توبة له، غلبت

عليه العبادة، فاستعظم وقوع ذلك القتل الكثير، وأما الثاني وهو العالم فغلب عليه العلم، فأفتاه بالصواب ودله على طريق النجاة، وفي هذا فضل العلم وطلبه، خاصة في هذا الزمان الذي قل فيه طلاب العلم وكثر فيه الجهل والتنافس على الدنيا، عن أبي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ قال: ذُكِرَ لِرَسُول الله صلى الله عليه وسلم رَجُلاَنِ؛ أَحَدُهُمَا عَابِدٌ وَالآخَرُ عَالِمٌ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي على أَدْنَاكُمْ، ثُمَّ قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: إِنَّ اللَّهَ وَمَلاَئِكَتَهُ وَأَهْلَ السماوات وَالأَرْضِينَ حتى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ على مُعَلِّمِ الناسِ الْخَيْرَ» [أخرجه الترمذي وصححه الألباني].

وعن أبي هُرَيْرَةَ قال: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «كَانَ رَجُلاَنِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاخِيَيْنِ؛ أَحَدُهُمَا مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، وَالآخَرُ مُذْنِبٌ، فَأَبْصَرَ الْمُجْتَهِدُ الْمُذْنِبَ عَلَى ذَنْبٍ، فقال لَهُ: أَقْصِرْ، فَقَالَ لَهُ: خَلِّنِي وَرَبِّي، قَالَ: وَكَانَ يُعِيدُ ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَيَقُولُ: خَلِّنِي وَرَبِّي، حَتَّى وَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ فَاسْتَعْظَمَهُ فقال: وَيْحَكَ أَقْصِرْ، قَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي، أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟! فَقَالَ: وَاللَّهِ لا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ أَبَدًا، أَوْ قَالَ: لا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ أَبَدًا، فَبُعِثَ إِلَيْهِمَا مَلَكٌ فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا، فَاجْتَمَعَا عِنْدَهُ جَلَّ وَعَلاَ، فَقَالَ رَبُّنَا لِلْمُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ عَالِمًا أَمْ كُنْتَ قَادِرًا عَلَى مَا فِي يَدِي أَمْ تَحْظُرُ رَحْمَتِي عَلَى عَبْدِي؟ اذْهَبْ إِلَى الْجَنَّةِ يُرِيدُ الْمُذْنِبَ، وَقَالَ لِلآخَرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ» [أَخَرَجه أبو داود وابن حبان قال الألباني إسناد جيد].

العاشرة: فضل الصحبة الطيبة، واختيار الصاحب الذي يذكِّرك بالله، ولا يحرمك من نصيحته، يحافظ عليك حتى من شر نفسك التي بين جنبيك، ولذلك، إن من بركة هذه الصحبة الطيبة أن غفر الله لهذا الرجل بنية اقترابه من الصحبة الصالحة، فإن كان من يقترب من الصحبة الصالحة يُصنَع معه ذلك، فما بالك بالصاحب الخليل والرفيق القريب، ففي الحديث عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ الله عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوْءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ؛ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً» [أخرجه البخاري في صحيحه].

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلاً، يتبعون مجالس الذكر، فإذا وجدوا مجلسًا فيه ذكر قعدوا معهم، وحف بعضهم بعضًا بأجنحتهم، حتى يملئوا ما بينهم وبين السماء الدنيا، فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا إلى السماء، قال: فيسألهم الله عز وجل وهو أعلم بهم من أين جئتم؟!......قال فيقول: قد غفرت لهم، فأعطيتهم ما سألوا، وأجرتهم مما استجاروا، قال: فيقولون: رب! فيهم فلان عبد خطاء إنما مر فجلس معهم، قال: فيقول: وله غفرتُ؛ هم القوم لا يشقى بهم جليسهم» [أخرجه البخاري ومسلم].

الحادية عشرة : التحول عن مكان المعصية من أنفع الأدوية لمفارقة المعاصي؛ لأن وجود العبد في نفس المكان الذي تعود فيه على الفحش والمخالفات ربما يحن الإنسان للمعاصي وهو في نفس المكان ، أما البعد عنه فإنه يولد الإيحاش منه، ويعلم أن هذا المكان،كان سبباً في هلاكه، فيبغضه لنفس السبب، ولذا فإن البعد عن مكان المعصية علاج نافع، ولو كان هذا البعد مؤقتاً، فإن هدى الله أهل المكان الأول جازت العودة لهم؛ لأنهم سيساعدوه على الاستقامة، أما إذا خلا عن ناصح أمين، فالانسلاخ أولى والبعد أنفع. والله نسأل الهداية والرشاد وحسن الخاتمة.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

تأسيس تيار الوسطية الإسلامي في سوريا

إعداد/ جمال سعد حاتم

في ظل الأحداث الجارية في القطر السوري الشقيق وما يلاقيه الشعب السوري عامة، وأهل السُّنة خاصة، فقد تم تأسيس تيار الوسطية الإسلامي، وهو تكتل دعوي سياسي يعتمد على الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، وقد أصدروا البيان التأسيسي التالي:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعدُ:

فمنذ أن خطف النظام الأسدي الحكم في بلدنا الحبيب سعى جاهدًا لمحاربة الإسلام بشعائره ورموزه، ونكّل بالمسلمين والعلماء الربانيين خاصة خلال العقود الماضية، حيث هَجَّر رموزهم من البلد، وشوّه صورة الإسلام ومبادئه بين الناس، وسخّر إعلامه وأزلامه لهذه القضية، وأثار النعرات الطائفية في البلد بشكل هدد السلم الأهلي بينهم، وعندما قامت ثورة العزة والكرامة كان لأهل السنة والجماعة الدور الأكبر فيها، من خلال المظاهرات والدعوة ، والمشاركة في العمل المسلح.

وإيمانًا منا بضرورة العمل الجماعي المنظم، وحاجة الأمة لحكم عادل ورشيد، وبعدالة الشريعة الإسلامية وأنها النظام الكفيل بتحقيق الرقي الإنساني والسلم الأهلي والعدالة الاجتماعية، والحامي للفضيلة والحريات، ونظرًا لحاجة الأمة لمكون دعوي سياسي إسلامي يجمع بين فهم النص وفهم الواقع، ليبني دولة إسلامية تحمل رسالة الإسلام وتواكب مقتضيات العصر وتنافس الأمم في الريادة والقيادة، فقد تولدت الرغبة لدى الكثير من الإخوة لتشكيل تيار يحقق هذه الأهداف، فكان تيار الوسطية الإسلامي.

إن تيار الوسطية الإسلامي هو تكتل دعوي سياسي إسلامي يعتمد الكتاب والسنة بفهم السلف مرجعًا له ، ويسعى لإقامة دولة إسلامية راشدة، ورغبة منا في تحقيق الوسطية استلهمنا اسمه من قوله تعالى: « وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا » [البقرة: ١٤٣].

وينطلق في رؤاه وتصوراته من إيمانه بصلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان وعدالة أحكامها، ويعتبر جهد العلماء المسلمين في بيان أحكامها إرثًا كبيرًا يهتدي به ، ولا يجوز الجمود عليه ولا الجحود له، ويرى ضرورة المحافظة على وحدة سوريا شعبًا وأرضا، ويكفل ويضمن حقوق الأقليات كما كفلها الشرع لها، ويعتمد الشورى سبيل الحكم في الأمة، وآلياتها خاضعة للاجتهاد، ويؤمن بأهمية نشر العلم الشرعي والوعي الصحيح لرسالة الإسلام.

ويسعى التيار بكل جهوده لإسقاط النظام الأسدي بكل رموزه ومحاسبتهم ودعم الكتائب المجاهدة ضد النظام بكل أطيافها، وتعويض المتضررين خلال الثورة ورعاية أسر الشهداء، ويتعاون مع كل الأطياف لتحقيق أهداف الثورة، ويسعى من خلال الدعوة في كل مجالاتها والمساهمة في العمل السياسي لتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في كل مجالات الحياة.

وبعد مناقشات خلال يومين من الإخوة المجتمعين بتاريخ ٥، ٦ ذي الحجة ١٤٣٣هـ، ٢٠، ٢٠١٢/١٠/٢١م، تم تأسيس تيار الوسطية الإسلامية وتسمية الدكتور أحمد فارس السلوم رئيسًا للمجلس التأسيسي له، وتفويض الدكتور أيمن هاروش ليكون متحدثًا عنه.

نسأل الله تعالى أن يكون هذا التيار خادمًا لدينه ، ويوفقه لحمل رسالة الإسلام كما جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم وكما حملها سلفنا الصالح، وأن يقيم حكمًا إسلاميًا ينعم به أبناء بلدنا الحبيب بكل أطيافه القومية والدينية.

المؤسسون:

أ. د. أحمد بن عبد الكريم نجيب.

أ.د. أحمد بن فارس السلوم.

أ.د. سعد بن عبد الكريم العثمان.